
عائشة
رضي الله عنها
في أطهر قلب

الطَّبْعَةُ الأولى
١٤٣٩هـ - ٢٠١٨ م

للتواصل مع المؤلف :

الاتصال : 00965 - 50290303
إيـمـيل : Al-jefiri@hotmail.com
التويـتر : mohamdaljefiri@

شركة



للنشر والتوزيع
والدعاية والإعلان

المرقاب - المنطقة التجارية التاسعة - مبنى رقم ١١ الدور الخامس - مكتب ٥٠
ص.ب : ٩٢٧ قرطبة، الرمز البريدي : ٧٣٧٦٠ الكويت
تلفاكس : ٢٢٤٥٦٢٥٨ - ٢٤٥٧٠٠٥٠
Email : pn99382432@gmail.com



نسخة مهداة إلى





(الأحزاب : ٦)

« أما إنه لا يحزن عليها إلا من كانت أمه »

(عبيد بن عمير)



إهداء

إلى أمي وأم المؤمنين . .

عائشة حبيبة حبيب رب العالمين ﷺ

أنت للأُمَّةِ فَضْلٌ ومنَّة ، ونعْمَة وَأَيُّ نِعْمَة ، إيه وَرَبِّ الكَعْبَة . .

فأقل شيءٍ يُقَدِّمُهُ لَكِ أَبناؤُكِ البَرَرَة ؛ كتاباً يتناولُ :

سِيرَتَكِ العَطِرَة ،

وحَياتَكِ المُزْهِرَةُ ،

وأَيامَكِ النَّضِرَة ،

ورُوحَكِ الجَمِيلة ،

ونَفْسَكِ الأَبيّة ،

وأَخْلاقَكِ الزَكِيّة ،

وعُلُومَكِ السَنِيّة . .

عَلَّ الله أن يرزقنا التأسي بك ؛ لنحظى برفقة حبيبنا محمد ﷺ كما حظيتِ به . . فهنيئا لك يا أماه تلك المنزلة العالية والمكانة السامية ، ورضي الله عنك وعن أبيك وعن سائر محبيكِ– .

ابنك مؤلف الكتاب

وجميع من أحبك في الله ولأجل رسول الله

فقط لا غير !!!





من الأسماء التي سجلت نفسها في التاريخ..
بل سجلها التاريخ رغما عن أنفه!
أسماء لامعة مخلصة - نورته وزانته - وعطرته وطيبته

ورفعت رأسه شامخاً ليقول :

إني أستحق القراءة فاقرأوني، إني أستحق الإطلاع فطالعوني..
ولاشك أن لأمنا عائشة رضي الله عنها من هذه الشهادة النصيب الوافر
والحظ العظيم.. وسيرتها شاهدة على ذلك.

فيا أيها الأخ الحبيب .. ويا أيتها الأخت العزيزة :

كيف يطيب لنا ألا نقرأ سيرة أمنا ؟! وها هو الكتاب بين أيدينا.
عَلَّنَا أن نكون أبناء بارين بها فتكون عنا راضية، وإذا كان الله يحكي ما في نفس الرسول صلى الله عليه وسلم فيقول : « تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ » فَحَرِيٌ بنا نحن أن نبتغي مرضاتهن - رضي الله عنهن - بمحبتهن ومعرفة سيرتهن والدعاء لهن والترضي عنهن.

المؤلف



تقــديم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد

وعلى آله وصحبه أجمعين.   أما بعد:

فقد اطلعت على المبحث المقدم من الأخ/ محمد الملا الجفيري ، بعنوان:

حياة أم المؤمنين مع رسول رب العالمين فوجدته بحثاً نافعاً ركز فيه جامعه على

بث روح المحبة وحسن المعاملة بين الأزواج عن طريق ضرب المثال من حياة

الرسول صلى الله عليه وسلم مع أمنا الصديقة عائشة بن أبي بكر.

وأنا شخصياً قد استفدت من هذا المبحث على صغر حجمه.

فأسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناته وأن ينفع

به المسلمين.

كتبه/

عثمان بن محمد الخميس







تقديم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد :

فقد اطلعت على البحث المقدم من الأخ/ محمد الملا الجفيري ، بعنوان : حياة أم المؤمنين مع رسول رب العالمين[١] فوجدته بحثا نافعا ركز فيه جامعه على بث روح المحبة وحسن المعاملة بين الأزواج عن طريق ضرب المثال من حياة الرسول ﷺ مع أمنا الصديقة عائشة بنت أبي بكر .

وأنا شخصيا قد استفدت من هذا البحث على صغر حجمه .

فأسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناته وأن ينفع به المسلمين .

كتبه /

عثمان بن محمد الخميس

(١) كان هذا هو عنوانه القديم، ثم استحسنت تغييره قبل الطباعة إلى ما أثبتّه على غلاف الكتاب.









مقدمة

الحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله . . وعلى آله وصحبه . . أما بعد :

فهذا كتاب لطيف ، جمعت فيه نبذاً من حياة أم المؤمنين (عائشة بنت أبي بكر الصديق) رضي الله عنها ، بدءً من الولادة والنشأة ، مروراً بأجمل أيام حياتها يوم أن تزوجها النبي ﷺ وعاشت معه في بيته وتحت كنفه ، وجمعهما الله على طعام واحد وفي لحاف واحد ، انتهاءً بيوم وفاتها رحمها الله ورضي عنها .

ولم أشأ أن أسرد الأحاديث والمواقف والقصص دون الوقوف على عبرها وفوائدها ، ولذا تكلمت على غالبها بما نستفيده منها في واقع حياتنا بشيء من الإيجاز .

ولعل أعظم ما نستفيده من هذه الورقات - بعد معرفة سيرتها العطرة رضي الله عنها الوقوف على العلاقة الزوجية المثلى ومهارات[1] التعامل بين الزوجين ، وستجد في طيات هذا الكتاب الشيء العجيب والمفيد من ذلك .

وقد حرصت على إيراد الأحاديث الصحيحة والحسنة ، وقد أورد الضعيفة ولكني أنبه عليها ، وهي قليلة جدا بالنسبة للصحيحة ، وإنما تجوزت في

(١) وأعني بالمهارة : إتقان الأداء وحسن التعامل والتصرف (قاله الشيخ نجيب العامر).



ذكرها لأنها في غير العقائد والأحكام ، وقد كان من منهج علماء الإسلام أنهم يتجوزون في روايات السِّير والفضائل ونحوها ما لا يتجوّزون في غيرها .(١)

فإن وجدت خيراً فاحمد الله وإني سائلك الدعاء ، وإن وجدت خطأً فاصفح وتجاوز ، وادعُ لكاتبه بالمغفرة ، ولا تنس تنبيهي عليه لطفا لا أمرا .

والله الموفق

والحمد لله رب العالمين .

الكويت

٢٨/ ٤/ ٢٠١١م

(١) ومحل ذلك ما إذا كان المضمون سالما من النكارة أو الغرابة.






عائشة
رضي الله عنها
مدخل



مدخل

لَمَّا طُعن بأمهات المؤمنين علناً . . وضج العالم أجمع بما سمع . .

مر في خاطري ودار في خلدي قول الله جل وعلا : ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَـٰتُهُمْ﴾ (الأحزاب :٦)

أي أن النبي ﷺ كالوالد لنا [١] ، وأزواجه أمهاتنا .

فتذكرت حينها خديجة . . عائشة . . حفصة . . صفية . . سودة . . زينب . . ثم انقطعت الذاكرة عن تذكر بقية أسماء أمهات المؤمنين . . فشعرت عندها بالخجل من نفسي . . والحسرة والندم يخيمان في قلبي . .

كيف لِرَجُلٍ أن ينسى اسم امرأةٍ . . هي له أمٌّ؟!!

فرجعت مسرعاً إلى الكتب ، واستخرجت بقية أسمائهن : زينب . . أم سلمة . . ميمونة . . جويرية . . أم حبيبة . . **ثم سألت نفسي ثانية :**

(١) كان النبي ﷺ يقول لأصحابه ﷺ :(إنما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم)(سنن أبي داود – حديث رقم ٨ – صححه الألباني). ورُوي عن أبي بن كعب وابن عباس أنهما قرآ :(النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم)، قال الإمام البغوي في تفسيره : كل نبي أبو أمته . وهو مروي عن مجاهد وقتادة وغير واحد ، انظر تفسير ابن كثير (٤/ ٣٣٧).



ماذا تعرف عن أمك خديجة ؟ !

أم ماذا تعرف عن أمك عائشة ؟ !

أفتكون عائشة أماً لك . . وأنت تجهل حياتها وفضلها ؟ !

هنا أسفت على نفسي جدا ، وفي ظني أن أكثر من هم حولي على شاكلتي . .

فكانت هذه الورقات المباركات التي بين يديك ، للتعريف بحبيبة حبيب رب العالمين (أمنا عائشة رضي الله عنها وعنا أجمعين) ، وكيف عاشت مع النبي ﷺ في بيت الزوجية ، تحبه ويحبها ، وتسعده ويسعدها ، وفي النية التعريف بغيرها من أمهاتنا في إصدارات لاحقة بإذن الله تعالى .

أما الآن : فتعال لنتعرف على أحب نساء النبي ﷺ إليه . .

حبيبة قلبه . .

ورفيقة دربه . .

وأنيس روحه . .

ووعاء علمه . .

عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها وعن أبيها

فاصحبني على بركة الله تعالى . . .

وقبل الانطلاقة .. استعن بالله وقل:
اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علما وعملا.






عائشة
رضي الله عنها
الولادة - النشأة - الزواج - الجمال





في زمان مُعَظَّم مُحَرَّم..
ومكانٍ مُمَجَّدٍ مُشَرَّفٍ..

أشرقَ نورُ أُمِّنا أم المؤمنين[1]

ولدت رضي الله عنها بمكة المكرمة في أوائل شهر الله المحرم سنة ٤ من النبوة[2].

ولدت في بيتِ شَرَفٍ ودين . .
فأبوها الصديق أبوبكر ؛ خير إنسان وطئ الثرى بعد الأنبياء والرسل . .
وأمها أم رومان بنت عامر ؛ صحابية جليلة .[3]

ولا عجب أن تجتمع خصال الفضل والخير فيها :

---

(١) قال الزركشي :(عائشة مأخوذ من العيش) الإجابة (ص٤١) ، ومراده بالعيش الحياة والبقاء وليس طعام الرز المشهور عندنا اليوم باسم (العيش).
(٢) وذلك في العام التاسع قبل الهجرة، بما يوافق ميلاديا (سنة ٦١٦) ، هذا ما نقله لنا ابن سعد في الطبقات (٨/ ٧٩) ومشى عليه كثير من مؤلفي السير والتاريخ، ولبعض الباحثين المعاصرين تحقيق في ذلك قال فيه بعد أن أورد الشواهد والأدلة :(وعلى هذا وفي ضوء هذه الحقائق فيكون أصح تاريخ لولادتها هو شهر شوال السنة التاسعة قبل الهجرة ، الموافق يوليو (تموز) عام ٦١٤م ، وهو نهاية السنة الخامسة من البعثة) مختصر سيرة أم المؤمنين للسيد سليمان الندوي المسمى الدر الثمين (ص١٨) قام باختصاره مركز البحوث والدراسات بمبرة الآل والأصحاب.
(٣) أم رومان ، بفتح الراء وضمها ، قاله الزركشي في الإجابة (ص٤٢).



فأبوها قرشي من تيم بن مـرة ، الذين عُـرف عنهم : الكـرم ، والشجاعة ، والأمانة . .

وأمها كنانية من بني خزيمة ، الذين عُرف عنهم : اللين ، وسداد الرأي ، وحسن الخلق . .[١]

●●●

(١) انظر : تراجم سيدات بيت النبوة (ص٢٠٥).



عائشة في بيت أبيها

عاشت رضي الله عنها في بيت الصديق تسع سنين ، تلقت فيه العلم والأدب والخلق والدين ، إلى أن تزوجها ﷺ . . فانتقلت بذلك إلى جامعة أرقى وأزكى . . أعني البيت النبوي الشريف .

ولقد كان من مِنَّةِ الله عليها أن وُلدت في الإسلام ، ففتحت عينيها فإذا أبواها مُسلِمَان موحِّدان . .

تقول رضي الله عنها :(لم أعقل أبوي إلا وهما يدينان الدين) .[1] يعني دين الإسلام ، وبذا عصمها الله جل وعلا من أن ترى شركا في بيتها ، أو تدعُو غير الله ، أو تعظم صنما أو حجرا . . وهذا شرف لصاحبه بلا شك !

وما بالك بمن عاشت في بيتٍ كان يزوره رسول الله ﷺ كل يوم ، وترى فيه والدها يصلي ويقرأ القرآن ويبكي؟ !

قالت رضي الله عنها :(ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفي النهار بكرة وعشية ، ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجدا بفناء داره ، فكان يصلي فيه ويقرأ القرآن ، فيقف عليه نساء المشركين وأبناؤهم يعجبون منه وينظرون إليه ، وكان

---

(١) صحيح البخاري (٤٧٦).



أبو بكر رجلا بَكَّاءً لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن) .[١]

وتخرجت رضي الله عنها بنت أبيها : فصيحة اللسان ، قوية البيان ، رزقها الله حافظة متينة ، وذكاء مفرطا ، وعلما جما ، ولذا لا عجب أن نراها بعد ذلك من أكثر الصحابة رواية للحديث كما سيأتي ، بل فقيهةً مُعَلِّمةً .

وإذا كان قوم والدَيْها (تيم وبنو خزيمة) بهذه الصفات الجميلة والشمائل الجليلة ، مع ما ينضم إلى ذلك من فوزها بصحبة سيد البشر واقترانها به ، وهو الذي أُعطي أفضل وأرقى شهادة تزكية في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ ؛ فلا ريب أنْ كان لها من هذه الآية أوفرَ الحظ والنصيب .

●●●

(١) صحيح البخاري (٤٧٦).





عائشة والزّواجُ المُبارَك

لم يكن زواج النبيﷺ من عائشة بمحض رغبةٍ في نفسه ، أو جرياً على عادات الزواج وأنماطه المعروفة في ذلك الوقت . . وإنما كان اختياراً ربانياً ، وبلاغاً منامياً نزل به المَلَكُ[١] ليقول له : (هذه زوجتك) ! وزاد : (في الدنيا والآخرة) ! ! فيا له من فضل وشرف !

روى البخاري أن النبي ﷺ قال لها :(رأيتك في المنام ثلاث ليال ، جاءني بك الملك في سَرَقَة (أي : قطعة) من حرير أخضر ، ويقول : هذه امرأتك . فَأَكْشِفُ عنها ؛ فإنما هي أنتِ . فأقول : (إن كان هذا من عند الله يمضه) .[٢]

ولقد كان من عند الله فأمضاه ، فتزوجها ﷺ بمكة في شوال سنة عشر من النبوة[٣] وهي في سن السادسة أو السابعة[٤] ، ومكثت في بيت أمها بعد نكاحها حوالي ثلاث سنين ، ثم عرس بها في المدينة في شهر شوال أيضا ، بعد ثمانية أشهر من الهجرة وهي في سن التاسعة ، وقد كانت البنت في هذا السن مهيئةً

(١) تأمل النازل في شأنها (وهو جبريل عليه السلام) أشرف الملائكة، على المنزل عليه (وهو محمد ﷺ) أشرف البشر ، لتعرف شرف هذه المرأة العظيمة ومنزلتها .

(٢) رواه البخاري (٣٨٩٥). قال الزَرْكَشي: (فهذا تزويج مطوي في سر القدر ، ظهر أثره يوم عقد العقد غير أن عائشة كانت من اختيار الله لرسوله ﷺ). (الإجابة ص٧٧).

(٣) قبل الهجرة بثلاث سنين (الطبقات ٩٩١٠).

(٤) قال الزركشي :(والأول أصح). الإجابة (ص٤٣). وانظر صحيح البخاري (٥١٣٣).



تمام التهيؤ – عقلياً ونفسياً وبدنياً وعُرفياً– لمثل هذه المسؤولية العظيمة والأعباء الجسيمة .

ومن بركة الزوج (محمد ﷺ) والزوجة (عائشة رضي الله عنها) أن هذا الزواج المبارك قد أبطل عقيدتين من العقائد السائدة في ذلك الوقت عند العرب :[١]

إحداهما : أنهم ما كانوا يستبيحون الزواج من ابنة الصَدِيقِ الأخ ، ويظنون أن الصُّحْبة والمؤاخاة تبلغ مبلغ القرابة التي تمنع المصاهرة .

فعندما أَخبَرت خولةُ بنت حكيم أبا بكر عن رغبة النبي ﷺ في الزواج من ابنته عائشة ، قال أبو بكر متسائلاً ومُسْتغرباً : وهل تصلح له؟[٢] إنما هي ابنة أخيه ، فقضى النبي ﷺ على هذا العرف وأبطله بقوله : (ارجعي فقولي له : إنه أخي في الدين ، وهي لي حلال) .[٣] قال الحافظ ابن حجر : (معناه وهي مع كونها بنت أخي ؛ يحل لي نكاحها ؛ لأن الأخوة المانعة من ذلك أخوة النسب والرضاع لا أخوة الدين) .[٤]

(١) انظر الدر الثمين (ص٣٥).
(٢) تأمل أدب هذا الرجل التقي الخفي، كيف كانت عبارة سؤاله (وهل تصلح له؟) ولم يقل :(وهل يصلح لها؟) مع أنه ﷺ هو المتقدم لها ويكبرها بكثير، فما أجملك يا صديق هذه الأمة وما أجمل أدبك يا خير صاحب!
(٣) أخرجه البخاري مختصرا (٥٠٨١) ، وهو في مسند أحمد (٢٥٨١٠) وحسن إسناده الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١١/ ٢٢٧).
(٤) فتح الباري (٩ / ١٢٤).



والثانية :أن العرب ما كانوا يتزوجون في شهر شوال كراهةً وتشاؤماً[١] ، فرفع النبي ﷺ وعائشة بزواجهما هذا الوهمَ الباطلَ ، ولذا كانت عائشةُ تحب أن تدخل النساء من أهلها وأحبتها في شوال وتقول :(تزوجني رسول الله في شوال ، وبنى بي في شوال ، فأي نساء رسول الله ﷺ كانت أحظى مني ؟) .[٢]

وكان مهر عائشة يومئذ اثنتي عشرة أوقية ونصف ، وهو ما يعادل ٥٠٠ درهما ، كما في صحيح مسلم ومستدرك الحاكم .[٣]

« وهاهنا لفتة في موضوع الزواج وعلى الأخص ما يتعلق بالمهر والعرس : فهذا حفل زفاف أم المؤمنين مع خير الناس أجمعين ، قد تم بكل تواضع وبأقصى درجات البساطة ، ومما لا شك فيه أن فيه أسوة حسنة وقدوة طيبة لسائر البنات المسلمات ممن ينشدن السعادة ويطلبن من زواجهن الاستقرار والستر والأمان ، «وفي ذلك عبرة وعظة لأولئك الذين جعلوا الزواج في عصرنا الراهن من المشكلات ، وأصبح رمزا للإسراف والتبذير والإنفاق في اتباع الهوى وإرضاء الرغبات والشهوات ، ومعلما للطقوس والتقاليد والعادات التي تعارض مبادئ الإسلام» .

(١) الطبقات لابن سعد (٨/ ٦٠) .
(٢) صحيح مسلم (٣٥٤٨).
(٣) صحيح مسلم (٣٥٥٥) ، ومستدرك الحاكم (٦٧٧٢) وصححه ووافقه الذهبي ، وفي المستدرك (٢٧٢٥) قال عمر بن الخطاب :(ما أصدق ﷺ امرأة من نسائه أكثر من اثنتي عشرة أوقية) قال الحاكم : تواترت الأسانيد الصحيحة بصحة خطبة أمير المؤمنين.



هذا ولو قورن صداق عائشة بالمغالاة التي عمت في المهور في مجتمعنا اليوم ؛ لتبين لنا الفرق الشاسع بينهما ، والأخطر من ذلك أن التقليل في المهور أصبح الآن رمزا لإذلال وإهانة الأسر وتحقيرها ، والحط من مكانتها الاجتماعية» وهل جر هذا الإسراف والغلو ، والرياء والعجب ،غير التعاسة للزوجين ، وطلاقا في الأخير إلا من رحم الله ؟ !

«ومن ثم فالسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو : هل توجد اليوم أسرة تفوق أسرة الصِدِّيق بل تدانيها في الفضل والشرف والسعادة والمكانة؟ وهل شهد العالم الإنساني اليوم بنتا هي أرفع مكانة وأعلى شرفا وأسمى منزلة من بنت الصديق؟ »[1] الجواب متروك للقارئ اللبيب ! .

وها هي تصف لنا كيف زُفَّتْ إلى النبي ﷺ ، فتقول :

« أتتني أمي أم رومـان ، وإنـي لفي أرجوحة ومعي صواحب لي ، فَصَرَخَتْ بي ، فأتيتها لا أدري ما تريد بي ، فأَخَذَتْ بيدي حتى أوقفتني على باب الدار ، وإني لأنهج (تردد النفس من التعب) حتى سكن بعض نَفَسِي ، ثم أَخَذَتْ شيئاً من ماءٍ فَمَسَحَتْ به وجهي ورأسي ، ثم أَدْخَلَتْني الدارَ فإذا نِسْوةٌ من الأنصار في البيت ، فَقُلْنَ : على الخير والبركة وعلى

(١) الدر الثمين (ص٢٩) بتصرف.



خيرِ طائر .[١] فأَسْلَمَتْني إليهن فأَصْلَحْنَ من شأني ، فلم يرعني إلا رسول الله ﷺ ضُحىً ، فأَسْلَمْنَني إليه وأنا يومئذ بنت تسع سنين» .[٢]

مهارة زوجية ١

وكان ﷺ يكنيها بـ: أم عبدالله[٣]، مع صغر سنها وكونها لم تنجب[٤]، إعلاءً من شأنها، ورَفْعاً لمنزلتها، وترسيخاً منه لقواعد الاحترام والإجلال والإكبار بين الزوجين.[٥]

---

(١) عبارة تفاؤلية كانت تقال في ذلك الزمان، كقول بعضهم :(جعله الله زواجا مباركا) أو (بالرفاء والبنين) ونحو ذلك، وقد علمنا النبيﷺ قولا يقال للمتزوج هو خير من ذلك كله، وهو ما أخرجه أبو داود (٢١٣٢) وغيره عن أبى هريرة أن النبي ﷺ كان إذا رفأ الإنسان إذا تزوج (أي إذا دعا له بالاجتماع والالتئام) قال: « بارك الله لك، وبارك عليك، وجمع بينكما في خير » صححه الألباني. وفي مسند الدارمي ومسند أحمد النهي عن قول (بالرفاء والبنين).

(٢) رواه البخاري (٣٨٩٤).

(٣) مسند أحمد (٢٤٦٦٣) قالت: أتيت رسول الله ﷺ بابن الزبير فحنكه بتمرة وقال:(هذا عبدالله وأنت أم عبدالله). صححه الأرنؤوط.

(٤) أما ما روي من أنها أسقطت ولدا سماه النبي ﷺ عبدالله فكانت لهذا تكنى بأم عبدالله كما في شرح الزرقاني على المواهب (٣/ ٢٦٩)؛ فهذه رواية واهية في غاية الضعف سندا، وتخالف الصحيح الذي نصت عليه الأحاديث والتي منها :(فكان يقال لها أم عبدالله حتى ماتت ولم تلد قط) كما في المسند (٢٥٦٩٦). ولذا قال ابن القيم في زاد المعاد (١/ ١٠٢):(وقيل إنها أسقطت من النبي ﷺ سقطا ولم يثبت).

(٥) من المعروف أن العرب تعد التكني من علامات الشرف، ورمزا للفضل والافتخار. ومخاطبتهم بالكُنى تدل على توقيرهم والاحترام لهم، ولذا تجد أشراف القبائل وساداتهم لا يُعرفون إلا بالكُنى، كأبي سفيان وأبي بكر وأبي طالب وأبي جهل وأبي لهب، كُلٌ منا يعرفهم بكناهم.. لكن كم منا يعرف أسماءهم الحقيقية؟ (انظر الدر الثمين ص٢٦).



وكان ﷺ يناديها أحيانا بـ (بنت الصديق) .[١] ليشعرها بمكانتها ومكانة أبيها ، وأي لقب أن يُلَقَّبَ المرء بالصديق وقد ثنى الله به في الثناء على من أنعم عليهم فقـال : ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾ .(النساء :٦٩)

وقد كانت رضي الله عنها – في بادئ الأمر – شديدة الحياء كشأن البنات الصغيرات إذا تزوجن ، قالت رضي الله عنها :(تزوجني رسول الله ﷺ حين أتاه جبريل بصورتي ، وإني لجارية علي حَوْفٌ[٢] ، فلما تزوجني ألقى الله علي حياءً ، وأنا صغيرة) .[٣]

تقول أسماء بنت عُمَيْس : (كُنْتُ صاحبةَ عائشة التي هيأتها وأدخلتها على رسول الله ﷺ ، ومعي نسوة . قالت : فوالله ما وجدنا عنده قِرى إلا قدحا من لبن شرب منه ، ثم ناوله عائشة فاستحيت الجارية ، فقلنا : لا تردي يد رسول الله ﷺ خذي منه ، فأخذت على حياء فشربت منه) .[٤]

فانظر أي شرف حصلته بزواجها منه ﷺ ، حيث تشرب من ذات القدح الذي شرب منه ، فهنيئا لها هذا الشرف .

(١) كما في سنن الترمذي (٣١٧٥) ، وفي مسند أبي يعلى (٤٥٠٧) ، وفي مسند الحميدي (٢٩٢) وهي أحاديث متعددة وليست حديثا واحدا. وقد قال صاحب كتاب الدر الثمين (كثيرا ما كان يناديها) يعني بذلك، ولم أر غير هذه الأحاديث الثلاث، وغالب ما عزاه هي أحاديث مكررة متنا، فظهر عدم صواب كثرة مناداته لعائشة بذلك وإنما كان يقوله أحيانا، والله أعلم.

(٢) جلد يشق كهيئة الإزار تلبسه الحِيّض والصبيان.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (٦٧٢٧) وصححه، ووافقه الذهبي.

(٤) مسند أحمد (٢٧٥١١) وضعف اسناده الأرنؤوط.



ومن أكثر ما يميزها رضي الله عنها عن باقي أمهات المؤمنين ؛ إضافةً إلى صغر سنها وشدة حيائها ، كونه لم يتزوج بكرا غيرها ، وهو الذي كان ينصح بالبكر فيقول لجابر : (هلاّ بكرا تلاعبها وتلاعبك ، وتضاحكها وتضاحكك) .[١]

فجميع نسائه ثيبات عدا عائشة رضي الله عنهن أجمعين .

مهارة زوجية ٢

وقد كانت تمازحه في بكارتها فتقول : « يا رسول الله، أرأيت لو نزلت واديا فيه شجراً قد أُكِلَ منها، ووجدت شجراً لم يؤكل منها، في أيها كنت تُرتِع بعيرك؟ فكان يقول: في الذي لم يرتع منها. فتقول : فأنا هي » .[٢]

وهكذا الحياة الزوجية ، تحتاج إلى شيء من المرح والدعابة والمزاح ، ليضفي بين الزوجين سعادة وخفة وانشراحا .

مهارة زوجية ٣

وكان عليه الصلاة والسلام يتلطف معها أشد التلطف فيناديها « يا عائش »[٣] مرخما لاسمها، ويروى أنه كان يناديها « يا عُوَيْش»[٤].

---

(١) متفق عليه : البخاري (٥٣٦٨) ، مسلم (٣٧١٥).

(٢) رواه البخاري (٥٠٧٧).

(٣) متفق عليه : البخاري (٣٦٧٨) ومسلم (٢٣٠١).

(٤) عمل اليوم والليلة لابن السني (ص ٤٥٦) وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٩٩١١). قال المُناوي: يا عويش منادى مصغر مرخم فيجوز ضمه وفتحه. (فيض القدير ٥/ ١٩١).







ما أجملك يا اماه!



لقد كانت أمنا عائشة رضي الله عنها امرأة بيضاء جميلة في خديها حمرة . .

مهارة زوجية ٤

فكان ﷺ يتلطف معها ويناديها: يا حميراء.[١]

فلا تَدَعَنَّ مناداة زوجتك بصفات جمالها، فإن ذلك مما يؤثر تأثيرا إيجابيا عجيبا في شخصيتها، ويزيد الألفة والمحبة بينكما، ويدخل السعادة على قلبها لاسيما مع محبة النساء لذلك.

ولجمال خَلْقِها وخُلُقِها ، بدأ الناس في خطبتها في سن مبكرة جدا ؛ عَلَّهُم أن يظفروا بها حين بلوغها . .

فخطبها مُطْعِمُ بن عَدِي لابنه جبير[٢]، إلا أن الله أبى أن تمسها يَدُ غيرِ رسول الله ﷺ . .

(١) سنن النسائي الكبرى (٨٩٥١). وقال الحافظ ابن حجر :(إسناده صحيح، ولم أر في حديث صحيح ذكر (الحميراء) إلا في هذا) فتح الباري (٢/ ٤٤٤). قال الذهبي :(والحمراء في خطاب أهل الحجاز : هي البيضاء بشقرة ، وهذا نادر فيهم)(سير أعلام النبلاء ٢/ ١٦٨).

(٢) مسند أحمد (٢٥٨١٠) وحسن اسناده الحافظ في الفتح (٧/ ١٧٦).



فلم تتزوج أحدا قبله ، وحَرَّمَ الله نكاحها وبقية نسائه من بعده .[١]

وقد كان ﷺ من شدة محبته لها ولآل أبي بكر ، يكثر من زيارة بيته قبل أن يتزوجها . .

تقول رضي الله عنها : لم يمر يوم إلا ورسول الله ﷺ يأتيهم فيه[٢]،وكان يذهب إلى أمها فيقول : **(يا أم رومان استوصي بعائشة خيرا واحفظيني فيها)** ، فكان لعائشة بذلك منزلة عند أهلها .[٣]

مهارة زوجية ٥

وهو ما ينبغي على الأزواج في حضرة أهل زوجاتهم ، أن يُعلوا من شأنهن ويُثنوا عليهن ويَستروا معايبهن ، وهو ما يُكْبِرُ الرجل في عين زوجته وفي نفوس أهلها .

والملفت في زواجها بالنبي ﷺ ومحبته لها ؛ أنه لم يكن كأي زواج وكأي حب ، **كيف وهو أول حب في الإسلام** . . فقد قال أنس رضي الله عنه : (أول حب في الإسلام حب النبي ﷺ لعائشة رضي الله عنها)[٤] وفيما سيأتي بيان لذلك .

(١) بقوله تعالى :﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴾(الأحزاب : ٥٣).

(٢) صحيح البخاري (٤٧٦).

(٣) مستدرك الحاكم (٦٧١٦).

(٤) حلية الأولياء (٢/ ٤٤).



ومن شواهد جمالها ،أنه كان ﷺ يأمرها أن تسترقي من العين كما سيأتي ، وليس ذلك لتميز جمالها فحسب ، وإنما لوفور عقلها وقوة حفظها وكثرة خصائصها وفضائلها رضي الله عنها .

●●●




عائشة
رضي الله عنها
«المحبة - المكانة - البركة - التفضيل»



مظاهر عِظم محبة النبي ﷺ لها

الناظر في السيرة النبوية وسيرتها رضي الله عنها ، تتجلى له حقيقة لا شك ولا نقاش فيها ، وهو أنه ﷺ ما أحب امرأة حبها ، ولا فضَّل واحدة تفضيلها ، حتى ذهب بعض العلماء إلى تفضيلها على خديجة ، بل بالغ بعضهم ففضّلها على أبيها أبي بكر الصديق ، رضي الله عن الجميع .[1]

وبعيداً عن المفاضلات ، نجد عشرات الملامح في السيرة النبوية تدلل على عظم محبته ﷺ لها محبةً ما كان يستطيع عليه الصلاة والسلام أن يخفيها . لدرجةِ أن سائر الناس كانوا يعرفون هذا عنه تمام المعرفة . .

فهذا عبدالله بن عباس رضي الله عنهما ، يقول لها حين عادها وهي على فراش الموت : **(كنتِ أحبَّ نساء النبي ﷺ[2] ،ولم يكن رسول الله ﷺ يحب إلا طيّبا)** .[3]

وكان عمر رضي الله عنه يقول لابنته حفصة وهي زوجةٌ للنبي ﷺ : **(كانت جارتك هي أوسم وأحب إلى رسول الله منك - يريد عائشة)** .[4]

(١) انظر : سير أعلام النبلاء (٢/ ١٤٠).

(٢) وهذه شهادة حق سجلها لنا ابن عباس؛ مع أن من نساء النبي ﷺ خالته ميمونة، فانظر ما أعظم إنصاف ذلك الجيل وصدقه.

(٣) مسند أحمد (٢٤٩٦) وقوى اسناده الأرنؤوط.

(٤) صحيح ابن حبان (٤٢٦٨).



بل كانت ضرائرها يعرفن هذا جيداً ويعترفن به ، فها هي أم سلمة رضي الله عنها تقول عنها لما علمت بوفاتها : (والله لقد كانت أحبّ الناس إلى رسول الله ﷺ إلا أباها).[١]

ولما أهديت للنبي ﷺ قلادة فقال : (لأدفعنها إلى أحب أهلي إليّ) قالت النساء : (ذهبت بها ابنة أبي قحافة) فأعطاها حفيدته أمامة بنت زينب وعلقها في عنقها.[٢]

حتى أنه لما بعث زياد بن أمية بهدايا وأموال إلى أمهات المؤمنين مفضلا عائشة عليهن ، جعل رسوله عمرو بن الحارث يعتذر إلى أم سلمة وصفية . فقالتا رضي الله عنهما : (يعتذر إلينا زياد ! فقد كان يفضلها من كان أعظم علينا تفضيلا من زياد رسول الله ﷺ) .[٣]

وانتبه أن هذا التفضيل الـمُعترف به من قبل أم سلمة وصفية ، هو في المحبة القلبية والميل العاطفي الفطري دون بخس الأخريات حقوقهن ونفقتهن وعطاءهن والمبيت عندهن ، فلا يُشكل عليك الأمر .

بل ربما استُغِلت مكانة عائشة من قبل بعض أمهات المؤمنين لتحقيق مطلب

(١) مستدرك الحاكم (٤/ ١٣) وصححه.

(٢) مسند أحمد (٢٤٧٤٨) وضعفه الأرنؤوط، وهذا من حسن تعامله ﷺ أن صرف القلادة لغير زوجاته حسما لمادة الغيرة التي يمكن أن تقع بينهن فيما لو أعطاها واحدة منهن.

(٣) ذكره العصامي في سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي (١/ ١٩٢) وقال :(روى أبو طاهر عن الشعبي والطبراني بإسناد حسن).



من رسول الله :

فمرة وجَدَ [١] ﷺ على صفية بنت حيي في شيء ، فقالت صفية : يا عائشة أَرْضِي عَنِّى رسول الله ﷺ ولكِ يومي . فقالت : نعم . فأخذت خماراً لها مصبوغاً بزعفران ، فرشته بالماء ليفوح ريحه ، فقعدت إلى جنب رسول الله ﷺ . فقال ﷺ : (إليك يا عائشة ، إنه ليس يومك) ! قالت : ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . وأخبرته بالأمر فرضي عنها.[٢]

وكان الناس كما في الصحيحين يتحرون بهداياهم يوم عائشة كما سيأتي .

ولعلنا نأتي على شيء من تلك الملامح بعد أن نعرف فضلها في الدين ومكانتها في قلب رسول رب العالمين ﷺ .

●●●

(١) الوجد : الغضب ، وأيضا الحزن. (مختار الصحاح)
(٢) مسند أحمد (٢٤٦٨٤) وضعف إسناده الأرنؤوط.







عائشة..قدرها ومكانتها

ذكر الله جل وعلا عشرات الآيات المبينة لفضل نساء النبي ﷺ . . وأي شرف أعظم من تسميته لهن أمهاتنا في قوله : (وأزواجه أمهاتهم)؟

ولو لم يُنزل الله في شأن فضلهن إلا هذه الآية لكفت ! ذلك أن **أمومة الدين أقوى صلة من أمومة النسب ، فيكون حقهن أولى وأعظم حقاً من أمهاتنا بالنسب .**

بل ، وكيف إذا علمت أن أمّنا عائشة رضي الله عنها من المهاجرين الذين قال الله فيهم : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (التوبة : ١٠٠) .

فكل فضل للهجرة ، وكل خصيصة للمهاجرين ، فهي في أمنا عائشة رضي الله عنها .

وكلنا يقرأ قول الله تعالى : ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ﴾ (التحريم : ٥)

وأنت تعرف أن الله لم يبدله أزواجاً غيرهن خيراً منهن ؛ وما ذاك إلا لأنهن هن أخير نساء الأرض ولا أخير منهن أبداً ، **فهن المسلمات المؤمنات القانتات . . إلى آخر الأوصاف** ، بقرينة قول الله في ختامها ثيبات وأبكارا ،



فعائشة هي البكر ، وسائر نسائه الثيبات . وإلا هل يقول قائل أن الله لم يختر لنبيه الأفضل – عياذا بالله – ؟ !

ويكفي بهذه الآية بيانٌ لأوصاف أمهات المؤمنين ومنهن عائشة رضي الله عنها .

ولم تكن أم المؤمنين كأي إنسان مؤمن تقي ، بل حازت من الإيمان قصب السبق ، ومن التقوى المنزلة العالية ، حتى **كان جبريل الأمين عليه السلام ينزل يُقْرؤها السلام ، فتقول : وعليه السلام ورحمة الله وبركاته.**[1]

ولك أن تتصور مَنْ المُسَلِّم ومن المُسَلَّم عليه ؟ فما أعظمه من شرف!

بل إنها رأت جبريل مرة ، ففي مسند أحمد أنها قالت : **رأيتك يا رسول الله وأنت قائم تكلم دحية الكلبي . فقال : (وقد رأيته)؟ قالت : نعم . قال : (فإنه جبريل وهو يقرئك السلام)** . قالت : وعليه السلام ورحمة الله ، جزاه الله من زائر ودخيل ، فنعم الصاحب ونعم الدخيل.[2]

(١) رواه البخاري (٣٧٦٨).
(٢) مسند أحمد (٢٥١٧٤) قال الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ٨) :(وإسناده حسن في الشواهد).
وأخرج نحوه الحاكم في المستدرك (٤٣٣٢) وصححه، ووافقه الذهبي.





والله إنك لمباركة يا أُمّاه

ومن عظيم فضلها وخيريتها تَنَزَّل بعض الأحكام التخفيفية (الرخص) بسببها ، حتى صارت تُعرف عند الناس بالبركة والمباركة ، كما في نزول آية التيمم :

ذلك أنها استعارت قلادة وكانت في سفر مع رسول الله ﷺ ، فانسلت منها . فطلبوها وبحثوا عنها حتى وجدوها ، فلما حضرت الصلاة ولم يكن معهم ماء ، صلّوا بغير وضوء ، فأنزل الله آية التيمم رخصة لهم .

وستعرف فضلها من ردة فعل الناس في هذه الحادثة :

فهذا أسيد بن الحضير رضي الله عنه يقول لها : **جزاكِ الله خيرا ، فوالله ما نزل بك أمر تكرهينه إلا جعل الله لك منه مخرجا ، وجعل للمسلمين فيه بركة .**[1]

وفي رواية قال : **ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر!** [2] وفي لفظ : **لقد بارك الله للناس فيكم يا آل أبي بكر ما أنتم إلا بركة لهم .**[3]

وفي رواية أن أبا بكر رضي الله عنه قال لها : **والله يا بنية ما علمت إنك لمباركة! ماذا**

---

(١) رواه البخاري (٣٣٦)(٣٧٧٣).
(٢) رواه البخاري (٣٣٤).
(٣) رواه البخاري (٤٦٠٨).



جعل الله للمسلمين في حبسك إياهم من البركة واليسر .[١]

وكان ابن عباس يقول لها : **وكان في ذلك رخصة للناس عامة في سببك ، فوالله إنك لمباركة .**[٢]

ومن الأحكام التي تنزلت بسببها حد القذف فـ (صار باب القذف وحده بابا عظيما من أبواب الشريعة ، وكان سببه قصتها رضي الله عنها)[٣] أي في حادثة الإفك وستأتي معنا .

●●●

(١) مسند أحمد (٢٦٣٨٤) وحسن إسناده الأرنؤوط.
(٢) مسند أحمد (٣٢٦٢) وقوى إسناده الأرنؤوط.
(٣) الإجابة للزركشي (ص٥١-٥٢).







تفضيله ﷺ إياها على النساء

وكان ﷺ يقول كما في الصحيحين : « **فضل عائشة على النساء ، كفضل الثريد على سائر الطعام** »[١] ، والثريد من أحب الطعام إليه[٢] ، ويصنع من كسر الخبز مع اللحم .

مهارة زوجية ٦

وهذا التفضيل يقوله ﷺ أمام مرأى ومسمع الناس[٣] ، مبيّنا فضل زوجته ومكانتها، فهل يفعل الأزواج اليوم مثل هذا الأمر؟! أم يَتَحَرَّج من ذكرها في سياق مدح أو يُحْرَج إذا ذُكِرَتْ؟! وهل إذا ذُكرت النساء، أو تعدد الزوجات بادر بمدح زوجته وتعداد محاسنها ؟ أم ينساق وراء أماني الزواج الثاني و يسترسل مع جلسائه في ذكرهن، بل وربما في ذكر معايب زوجاتهم وسلبياتهن؟!!

(١) مسند أحمد (٢٦٣٨٤) وحسن إسناده الأرنؤوط.
(٢) مسند أحمد (٢٦٣٨٤) وحسن إسناده الأرنؤوط.
(٣) مسند أحمد (٢٦٣٨٤) وحسن إسناده الأرنؤوط.



وستلحظ - حفظك الرحمن- من خلال ما سيأتي أنه ﷺ :

مهارة زوجية ٧

كان لا يدع فرصةً من قولٍ أو فعلٍ تُدخل السعادة على قلبها إلا بادر وانتهز وفعل.

فكان يُفرح قلبها بكلامه وكلماته فيقول : **(لأنت أحب إلي من زُبْدٍ بتمر)** .[١]

وكان يقول : **(أما ترضين أن تكوني زوجتي في الدنيا والآخرة)** .[٢] ، لأن جبريل عليه السلام أخبره بذلك .[٣]

ومرة سألته : **يا رسول الله ، مَنْ مِنْ أزواجك في الجنة؟** قال : **(أما إنك منهن)** ، قالت : فخُيِّل إليّ أن ذاك لأنه لم يتزوج بكراً غيري .[٤]

فلا تبخلن - أيها الموفق - بكلمة تفرح بها زوجتك، وعبارة تُدخل السرور على قلبها، لتصنع معك نفس الأمر ، فتُسْعِد وتَسْعَد.

(١) الطبقات الكبرى (١٠٠٤٠) عن شيخه الواقدي ، وهو متروك مع سعة علمه كما في تقريب التهذيب رقم (٦١٧٥).
(٢) مستدرك الحاكم (٦٧٢٩) وصححه ، ووافقه الذهبي.
(٣) رواه الترمذي (٣٨٨٠) وصححه الألباني.
(٤) مستدرك الحاكم (٦٧٤٣) وصححه ، ووافقه الذهبي.



بل روى النسائي أن امرأة جاءت إلى رسول الله ﷺ فقال : (يا عائشة تعرفين هذه)؟ قالت : لا يا نبي الله . قال : (هذه قينة[1] بني فلان ، تحبين أن تغني لكِ)؟ فغنتها .

مهارة زوجية ٨

وانظر إلى أثر مناداته لها بأسماء وألقاب تحبها كما سبق (يا عائش - يا عويش - أم عبدالله - يا حميراء) كيف جعلها تنتهج معه ذات النهج فتناديه بأحسن ألقابه (يا نبي الله). وهكذا الزوج الفطن، إذا أراد من زوجته أمرا أو خلقا، نظر في خلقه وتعامله، فإن هذا من أحسن وأرسخ وسائل غرس الخلق الحسن والتعامل الطيب بين الأزواج.

●●●

(١) القَيْنَة : المُغَنية.





عائشة
رضي الله عنها
سمو العلاقة الزوجية بينهما
مهارات متنوعة





الأنموذج المثالي للعلاقة الزوجية الناجحة

بالإضافة لما تقدم من تصريح النبي ﷺ بمدحها وفضلها ، وهي سنة نبوية للأزواج أن يثنوا على ما في نسائهم من خير أمامهن ومن وراء ظهورهن . .

بالإضافة لما سبق :

لم يكن ﷺ يستطيع أن يخفي محبته لها ، وذلك أن المرء إذا أحب أحدا بان ذلك وظهر من كلامه وأفعاله ونظراته وابتساماته .

فكان الصحابة ﷺ يسألونه : **أي الناس أحب إليك؟**

فيقول ﷺ : (عائشة)

فيُسأل : من الرجال؟

فيقول ﷺ : (أبوها).[١]

وأنت إذا سُئلت مثل هذا السؤال.. فكيف سيكون جوابك؟!!

والمرء إذا أحب شخصاً حباً شديداً أعطى له نصيباً من دعائه ، وربما خَصَّه من بين سائر أحبائه بالدعاء ، بل ولربما جعل دعاءه كله له وفيه . .

(١) متفق عليه : البخاري (٣٦٦٢) ، مسلم (٦٣٢٨).



مهارة زوجية ٩

وهو ما كان ﷺ يصنعه معها أحيانا، فقد كان من دعائه: (اللهم اغفر لعائشة بنت أبي بكر الصديق مغفرة واجبة ظاهرة باطنة)[١]، فتفرح رضي الله عنها فرحا عظيما، حتى يسألها : (يا عويش مالي أراك قد أشرق وجهك)؟. فتقول: ومالي لا أفعل وقد دعوت لي.[٢]

وأحيانا كانت هي من تبادر وتنتهز الفرصة فتطلب منه الدعاء ، تقول : رأيت رسول الله ﷺ طيب النفس ، فقلت : يا رسول الله ، أدع لي . فقال : (اللهم اغفر لعائشة ما تقدم من ذنبها وما تأخر ، وما أسرت وما أعلنت) . فضحكت حتى سقط رأسها في حجرها من الضحك .[٣]

فالدعاء للزوجة في حضرتها ، مشعرٌ لها بمكانتها وباهتمام زوجها بها ومحبته لها ، وهو مصدر رئيس من مصادر تحسين العلاقة الزوجية وحفظها مما قد يشوبها ، **فأكثرْ من الدعاء لها في حضرتها وفي غيبتها ، وستجد صدق ما أقول . وليت زوجاتنا يحتذين حذوها فيطلبن من أزواجهن الدعاء كما يطلبن منهم المال والفسحة والخروج . . .**

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٤٥) ، وهو في المستدرك (٦٧٣٨). قال الذهبي : منكر على جودة إسناده.
(٢) الدعاء للطبراني (٣٦٠).
(٣) رواه ابن حبان في صحيحه (٧١١).





وتأمل معي ما كان يصنعه معها ، لتقف بنفسك على متانة العلاقة الزوجية بينهما :

فقد كان ﷺ يلعب معها وتلعب معه ، ومعلوم أن الرجل لا ينبسط مع زوجته فيلعب معها إلا إذا تجذرت وتأصلت محبتها في نفسه ، فكان يسابقها – بطلب منه لا منها – ما شاء الله ، فتسبقه ، حتى إذا أرهقها اللحم سابقها فسبقها ، فكان يقول : يا عائشة ، هذه بتلك .[1]

مهارة زوجية ١٠

وفي هذا توجيه الزوجين لممارسة اللعب والرياضة والترفيه مع بعضهما، بدل أن تمارسها الزوجة مع صديقاتها، ويمارسها الزوج مع أصحابه فحسب !! وهو ما يُخرج الاحتكاك اليومي من حالة الجد والرسمية والروتين اليومي للعمل والدراسة ونحوها؛ إلى جو الاستمتاع والترفيه والترويح بالمتعة المباحة، فترتاح النفوس، ويخف الضغط، وينبسط الاثنان ، وإياك أن يصور لك الشيطان أن لعبك مع زوجتك من خوارم المروءة أو مخالف للرجولة أو لا يناسب المُتَدَيِّن، وها أنت قد علمت ما كان ﷺ يفعله! مع كمال مروءته ورجولته وتدينه!

(١) مسند أحمد (٢٣٦٢٠) وجود اسناده الأرنؤوط.



وكان ﷺ يغتسل معها في مكان واحد وبإناء واحد وفي وقت واحد ، تختلف أيديهما في الإناء[١] ، ويَقْلِبان الموقف إلى مرح وسعادة حتى تقول له : أبق لي أبق لي .[٢]

مهارة زوجية ١١

وَكَأَنَّ الزوج إذا صنع هذا مع زوجته يقول لها بلسان حاله : (أنتِ كنفسي) أو بعبارة أوضح (أنا وأنت نفس واحدة في جسدين) وهو مما يقرب بين قلبيهما جداً .

وهذه مهارة قل من يجيدها ، وهو أن يقلب الزوج أو الزوجة العادات اليومية من غسل أو طعام أو حديث إلى متعة وفرح ومرح !

وكانت إذا شربت ؛ أَخَذَ القِرْبَة ووضع فمه الشريف - عن قصدٍ - في موضع شُرْبها ، وإذا أكلت أَكَلَ من موضع أكلها .

تقول رضي الله عنها : **(كنت أشرب وأنا حائض ثم أناوله النبي ﷺ فيضع فاه على موضع في فيشرب ، وأتعرق العِرق** (العظم الذي عليه بقية من اللحم) **وأنا حائض ثم أناوله النبي ﷺ فيضع فاه على موضع في)** .[٣]

---

(١) متفق عليه : البخاري (٢٥٠) ، مسلم (٣٢١).
(٢) مسند أحمد (٢٥٦٥٠) وصحح إسناده الأرنؤوط.
(٣) رواه مسلم (٧١٨).



ولعله كان ﷺ يمسك بيدها إذا فرغت من طعامها فيلعق أصابعها ، وربما كانت تفعل ذلك معه ، ففي صحيح مسلم ،

قال ﷺ : (إذا أكل أحدكم طعاما فلا يمسح يده حتى يَلعقها أو يُلعقها) .[١]

بل وكان يحث الأزواج على رفع اللقمة إلى أفواه نسائهم ويخبرهم أن لهم بهذا أجرا[٢] ، ولاشك أنه ﷺ كان يفعل مع نسائه ما يُرشد به غيره .

مهارة زوجية ١٢

وتأمل كيف كان ﷺ يَقْلِبُ العادات اليومية إلى قربة وعبادة يؤجر عليها، ومتعة وانبساط يدخل السرور على قلبيهما، فما أجمل الحياة الزوجية بمثل هذه التطعيمات السهلة ، التي تكسر الروتين وتذهب الملل وتستثمر الأوقات والمواقف في فرح وسعادة وأجر.

(١) (٢٠٣١). قال النووي في شرح مسلم (١٣/ ٢٩٨) :(يُلعقها غيره ممن لا يتقذر بذلك كزوجة وجارية وولد وخادم يحبونه ويلتذون بذلك ولا يتقذرون).

(٢) متفق عليه : البخاري (٢٧٤٢) ، مسلم (٤٢٩٦).





وكان ربما إذا أراد الخروج من البيت قَبَّلَهَا.[١]

مهارة زوجية ١٣

وهذه مهارة زوجية تشعر الزوجة بمحبة زوجها لها ، وأنه سيشتاق إليها طوال فترة خروجه ، مما يخفف عليها من طول وحدتها وانتظارها لعودته.

وكان يقبل ويباشر حتى وهو صائم .[٢] فما بالك في علاقته بها في غير أوقات العبادة؟

وكان يخدم أهله بنفسه ، مع وجود الخدم والموالي عنده .[٣]

وكان إذا أراد أن يستريح وضع رأسه على فخذها . .

وربما قرأ شيئا من القرآن وراح يرتل بمثل هذه الهيئة[٤] . .

بل وربما اشتدت راحته حتى غلبه النوم ونام على فخذها .[٥]

(١) رواه أبوداود (١٧٨).
(٢) رواه مسلم (٢٦٣٤).
(٣) رواه البخاري (٦٧٦).
(٤) رواه البخاري (٢٩٧).
(٥) متفق عليه : البخاري (٣٣٤) ، مسلم (٨٤٢). وانظر البخاري (٢٩٧).



مهارة زوجية ١٤

وفي هذا إشعار للزوجة بأنها راحته وسكنه واستقراره ، خلافا لما يفعله كثير من الأزواج حين يرمون أجسادهم على الفراش ويستغرقون في النوم بحجة التعب والعمل !

ومثل هذه الأفعال وغيرها لا تدل إلا على شيء واحد وحقيقة واحدة ، وهو أنه ﷺ كان يحبها حُباً جَمًّا . .فأي علاقة حُبٍّ كانت تعيشها معه وتبادله إياها؟ وهذا الذي اصطلح عليه أبناء زماننا بـ **(الرومانسية الزوجية)** .

كما أن هذه الأفعال الدالة على شديد محبته ﷺ لها ، لم يُعهد أنه فعلها مع غيرها من زوجاته رضي الله عنهن . .

حتى أنه لما سمع عبدالله بن عمرو خَبَرَ أَنَّ رسول الله ﷺ كان يقبل عائشة وهو صائم ، بعث رجلا إلى أم سلمة رضي الله عنها قائلاً له : سَلْها أكان رسول الله ﷺ يقبل وهو صائم؟ فإن قالت : لا ، فقل : إن عائشة تخبر الناس أنه كان يقبل وهو صائم . فلما أخبرها قالت أم سلمة : **(لعله أنه لم يكن يتمالك عنها حبا ، إما إياي فلا)** .[١]

وفي هذا بيانٌ لما كان عليه أمهات المؤمنين من إحسانِ ظَنٍّ ببعضهن ، فهذه أم سلمة لم تَنْفِ ولم تُكَذِّب ولم تَتَّهِم ، وإنما أخبرت عن واقعها ، وعَلَّلَت

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٧٢) وجود اسناده الأرنؤوط.



فعله ﷺ مع عائشة بحبه لها وشغفه بها ، فرضي الله عن أمهات المؤمنين وأرضاهم .

وكان إذا أراد الخروج ليلا لحاجة أو أَمْرٍ وعائشة نائمة انتعل رويداً ، وأخذ رداءه رويداً ، ثم فتح الباب رويداً ، فخرج وأجافه رويداً ، وإذا سألته في ذلك يقول لها : (ظَنَنْتُ أَنْ قَدْ رَقَدْتِ ، فكرهتُ أن أوقظك ، وخشيت أن تستوحشي) .[١]

مهارة زوجية ١٥

وهذا من حسن تعامل الزوجين مع بعضهما ، حيث يراعي كل واحد منهما راحة الآخر ، ويحرص على عدم إزعاجه والتشويش عليه، ولا يدل هذا الاهتمام بهذه الأمور اليسيرة إلا على حب واحترام، بل ورقي في العلاقة وطريقة العيش.

وكانت من شدة مراعاتها للنبي ﷺ وحقوق ، ربما لا تتمكن من قضاء ما عليها من صيام رمضان إلا في شعبان ، وما يمنعها من ذلك سوى الشغل بالنبي ﷺ.[٢]

(١) رواه النسائي (٢٠٣٧).
(٢) رواه مسلم (١١٤٦).



حيث كانت مهيئة نفسها لاستمتاع رسول الله ﷺ بها في جميع أوقاتها إن أراد ذلك ، وإنما كانت تصومه في شعبان ، لأنه ﷺ كان يصوم معظم شعبان ، فلا حاجة له فيها حينئذ من النهار.[١]

وكانت تخدمه رضي الله عنها بنفسها :

- **فتطحن له الدقيق** بيدها[٢] وتطبخ بنفسها .[٣]
- **وتفرش له** المفارش.[٤]
- **وترجل له شعره** الشريف وتسرحه .[٥]
- **وتطيبه وهو الطيب** ﷺ[٦] بيديها[٧] ، بأطيب ما عندها من طيب.[٨]
- **وتعد له سواكه وطهوره** ليقوم من الليل ما شاء الله أن يقوم.[٩] وتغسل له السواك اهتماما بنظافته.[١٠]

---

(١) انظر شرح النووي على مسلم (٨/ ٢٢).
(٢) انظر الشمائل المحمدية للترمذي (٣٣٠).
(٣) انظر المرجع السابق.
(٤) انظر المرجع السابق.
(٥) رواه البخاري (٥٩٢٦).
(٦) رواه البخاري (٢٧٠).
(٧) مسند أحمد (٢٣٩٩٣).
(٨) مسند أحمد (٢٣٩٨٧).
(٩) رواه مسلم (١٧٣٦).
(١٠) رواه أبي داود (٥٢).



وتغسل ثوبه بيدها وتحك منه أثر المني رضي الله عنها .[١]

وتهتم بملابسه ﷺ ، فتطلب منه أن يشتري ثوبين من بز بدل ثوبين غليظين كان يلبسهما ويرشح (يَعْرَقْ) فيهما فيثقلان عليه .[٢]

وكانت لا تنام ورسول الله أرق ساهر لم ينم ، حتى تسأله :ما شأنك يا رسول الله؟[٣]

وكان تقري الضيوف القادمين عليه في البيت وتقوم بواجبهم.[٤]

مهارة زوجية ١٦

وهكذا متى ما اهتمت المرأة بدنيا زوجها وآخرته ، فقد كملت سعادته، وحينئذ زاد حبه لها وطاب عيشهما ، فلماذا تُعْرِضُ بعض الزوجات عن أَسْرِ قلوب أزواجهن بمثل هذه الأشياء الميسورة .. وهل يرد كرم زوجةٍ تصنع مع زوجها كلَّ هذا إلا لئيم؟! ولا أظن زوجكِ كذلك!

وكان ﷺ يجلس إليها ويتحدث معها ويسمع منها ، ولو طال حديثها جدا ، بل ولو كان حديثها في طُرف الأخبارِ ومُستطابات النوادر ومُلح الحديث ، كما

(١) رواه البخاري (٢٣١).
(٢) مسند أحمد (٢٥١٨٤) وصحح إسناده الأرنؤوط.
(٣) مسند أحمد (٢٥١٣٦) وصحح إسناده الأرنؤوط.
(٤) سنن أبي داود (٥٠٤٠) ومسند احمد (٣٦٦٦) وصحيح ابن حبان (٥٥٥٠).



حدثته مَرَّةً بقصة النساء اللاتي اجتمعن وكان عددهن إحدى عشرة ، وجلست كل واحدة تحدث الأخريات عن زوجها (وهو حديث أم زرع الطويل المعروف) فلم يتأفف أو يتململ ، ولم يقطع حديثها ، بل قال لها بعد كل ذلك : (كنتُ لك كأبي زرع لأم زرع)[١]، وفي رواية قال :(في الألفة والوفاء لا في الفرقة والجلاء . وفي رواية : إلا أنه طلقها وإني لا أطلقك) ، فقالت : يا رسول الله بل أنت خير من أبي زرع لأم زرع .[٢]

وهذا يدلك على أنه استمع لها بإنصات ، ووعى عنها ما قالت رغم طول القصة .

بل ربما خصها بما يجول في نفسه . . كما قال ابن الزبير للأسود : كانت عائشة تُسِرُّ إليك كثيرا ، فما حدثتك في الكعبة؟ فقال : قالت لي : قال النبي ﷺ :**(يا عائشة : لولا قومك حديث عهدهم – يعني بكفر – لنقضت الكعبة فجعلت لها بابين : باب يدخل الناس وباب يخرجون)** .[٣]

ويبث إليها همومه ، تقول رضي الله عنها : دخلَ عليّ النبي ﷺ يوما فقال : لقد صنعتُ اليوم شيئا وددت أني لم أفعله ! دخلتُ البيت ؛ فأخشى أن يجيء

(١) متفق عليه : صحيح البخاري (٥١٨٩) ، صحيح مسلم (٦٤٥٨).
(٢) النسائي والطبراني ، انظر فتح الباري (١١/ ٥٧٦).
(٣) متفق عليه : البخاري (١٢٦) ، مسلم (٣٣٠٤).



الرجل من أفق من الآفاق فلا يستطيع دخوله فيرجع وفي نفسه منه شيء .[١]

ولا تجده يتعذر عن الحديث بتعب وإرهاق أو بشُغُلٍ قَريبٍ كما يفعل أزواج زماننا :

فربما فرغ من قيام الليل ومناجاة ربه – وقد كان يقوم حتى تتفطر قدماه – ، فيلتفت إلى عائشة ، فإن وجدها يقظانة تحدث معها ، وإن كانت نائمة نام حتى يأتيه المؤذن .[٢]

مهارة زوجية ١٧

فمن الضروري أن يجلس الزوجان ويتحدثان إلى بعضهما البعض، ولابد لكل طرف أن ينصت للآخر ويستمع بإقبال ورغبة وتودد، فإن هذا يضفي على الحياة الزوجية الأنس والألفة والتقارب ، ومتى ما انعدم الحوار بين الزوجين وانقطع الجلوس والتحادث بينهما ؛ بعدت قلوبهما بقدر تباعد أجسادهما.

وكان إذا التمس منها سؤالا يدل على فطنتها ونباهتها : أثنى عليها

---

(١) مسند أحمد (٢٥٢٣٨) وحسنه الأرنؤوط. صدق الله العظيم القائل: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾(التوبة : ١٢٩) فصلى الله عليه وسلم.

(٢) مسند أحمد (٢٣٩٥٤) وصححه أحمد شاكر.



فقال : **يا موفقة** .[1]

مهارة زوجية ١٨

وفي هذا مهارة زوجية مهمة للأزواج، بأن يثنوا على زوجاتهم كلما سمعوا منهن كلمة موفقة أو رأوا منهن تصرفا حكيما أو رأيا سديدا ونحو هذا، لِيَرْسَخَ هذا التوفيق والصواب والحكمة فيها.

ومن أعظم ما يدل على جميل المعاشرة وحقوق المصاحبة وآداب المجالسة ، والوفاء بين الزوجين :

أنه كان يصحبها معه في الولائم اللذيذة الطيبة ، فلا يستأثر بنفسه ، بل وربما امتنع عن إجابة الدعوة إن لم تكن مشمولة معه بالدعوة . .

فمرةً كان له جار فارسي ، وكان طيب المرق ، فدعاه على طعام صنعه ، فقال ﷺ : (وهذه لعائشة)؟ قال : لا . فقال ﷺ : (لا) ! يعني امتنع عن الدعوة .

ثم عاد يدعوه فقال ﷺ : (وهذه) ؟ قال : لا . فقال ﷺ : (لا) !

ثم عاد يدعوه فقال ﷺ : (وهذه)؟ قال : نعم في الثالثة ، فقاما يتدافعان حتى أتيا منزله.[2]

(١) رواه الترمذي (١٠٦٢) وقال : حسن غريب ، وضعفه الألباني.
(٢) رواه مسلم (٢٠٣٧).



فكره ﷺ الاختصاص بالطعام دونها .[١]

ولما وقعت حادثة التحريم ، وكان ﷺ قد أقسم أن لا يَدْخُلَ على أزواجه شهرا ، فلما انقضى الشهر ، بدأ بها ﷺ ، فدخل عليها قبل كل نسائه ، وانظر تفصيل ذلك في تفسير سورة التحريم .[٢]

بل بلغت مراعاته لنفسيتها رضي الله عنها ؛ أنه ربما أوقف مسير القافلة في السفر ، لأجل عِقْدٍ لها انقطع ، ويقوم ﷺ بنفسه للبحث عنه ، ويقوم الناس معه ، كل ذلك لأجل عقد عائشة المفقود مراعاةً لنفسيتها .[٣]

ولربما يوفق الزوج لعبادات تَقْصُرُ عنها همة الزوجة – في فترة من الفترات إما لصغر سنها ، أو كثرة أعبائها ومهامها الزوجية والأسرية والمنزلية ، فكان ﷺ يصلي من الليل ، وأمنا راقدة معترضة على فراشه ، فإذا أراد أن يوتر أيقظها فأوترت.[٤]

---

(١) قال النووي في شرح مسلم (١٣/ ٣٠٤) :(ولعل الفارسي إنما لم يدع عائشة رضي الله عنها أولا؛ لكون الطعام كان قليلا فأراد توفيره على رسول الله ﷺ)، قلت : ولأن النبي ﷺ مبارك – ومواطن بركة الطعام ببركته متعددة في السيرة – أصر ﷺ على أن يصحبها رضي الله عنها معه، كما أن المحب بصدق لا يهنأ بطعامه إلا بوجود حبيبه ما أمكنه ذلك.

(٢) انظر على سبيل المثال: تفسير ابن كثير لسورة التحريم أو غيره من كتب التفسير بالمأثور.

(٣) رواه البخاري (٣٣٤).

(٤) صحيح البخاري (٥١٢).



مهارة زوجية ١٩

وهذه من المهمات التي ينبغي على الأزواج العناية بها، وهي أن يُشْرِكُوا زوجاتهم في الخير الذي هم فيه ، ويعلوا من هممهن ، ويكون كل واحد منهما عونا للآخر على الطاعة والعبادة، ولذا أصبحت عائشة التي كانت صغيرة تكتفي من الليل بالوتر بعد ذلك، هي المرأة العالمة القوامة الصوّامة صاحبة الصلاة الطويلة الخاشعة كما سيأتي (ومن زرع حصد).

وكان إذا تأخرت عليه في إجابة ندائه أو تقريب حاجته له ؛ لم يعنفها ولم يزجرها وإنما يسألها برفق .

تقول رضي الله عنها : **أبطأت على النبي ﷺ فقال : ما حبسك يا عائشة؟ قالت : يا رسول الله إن في المسجد رجلا ما رأيت أحدا أحسن قراءة منه . قال فذهب رسول الله ﷺ فإذا هو سالم مولى أبي حذيفة ، فقال رسول الله ﷺ : الحمد لله الذي جعل في أمتي مثلك.**(١)

●●●

(١) مسند أحمد (٢٥٣٥٩) حسنه الأرنؤوط.





جلساته ﷺ معها

كان ﷺ إذا صلى الصبح جلس في مصلاه ، وجلس الناس حوله حتى تطلع الشمس ، ثم يدخل على نسائه ؛ امرأة امرأة يسلم عليهن ، ويدعو لهن ، فإذا كان يوم إحداهن كان عندها .[١]

تقول عائشة رضي الله عنها :(**قلّ يوم إلا وهو يطوف علينا جميعا ، فيدنو من كل امرأة من غير مسيس ، حتى يبلغ إلى التي هو يومها فيبيت عندها**).[٢]

وكان يجتمع كل ليلة معهن جميعا في بيت التي يأتيها .[٣]

وكان كثيرا ما يأتي بيت عائشة في غير يومها كما سيأتي .

بل امتازت عن بقية نسائه بأخذها يومين مع رسول الله ﷺ ؛ حيث وهبت أمنا سودة يومها لعائشة رضي الله عنهما ، تبتغي بذلك رضا رسول الله ﷺ كما جاء في الرواية .[٤] لعلمها بمزيد محبته ﷺ لعائشة رضي الله عنها .

ولذا كانت عائشة أكثر نساء النبي ﷺ جلوسا معه ، وأخذا عنه وسماعا منه ، ورواية عنه كما سيأتي .

---

(١) فتح الباري (١٢/ ٥٣) وقال : أخرجه ابن مردويه.
(٢) سنن أبي داود (٢١٣٥) وقال الألباني : حسن صحيح.
(٣) رواه مسلم (١٤٦٣).
(٤) صحيح البخاري (٢٥٩٣).



وقد كان ﷺ مع ما عظيم حبه وأنسه لحبيبته عائشة رضي الله عنها ، إلا أنه كان شخصية متزنة منظمة ، فكان في الوقت الذي يكون مشغولا في السمر مع أهله ، ما إن يسمع النداء إلا قام وأسرع إلى الصلاة كأنه لا يعرفهن ، تقول رضي الله عنها : **(كان يكون في مهنة أهله ، فإذا سمع الأذان خرج)**[1] وتقول : **(كان يحدثنا ونحدثه ، فإذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه)** .[2]

●●●

(١) صحيح البخاري (٥٣٦٣).
(٢) ذكره الغزالي في الإحياء (١/ ١٤٥) وأخرجه الأزدي في الضعفاء كما في الدر الثمين ص٦٨.







زيارة لبيت عائشة ونظرة لأثاثها!

هكذا كانت العلاقة الزوجية بين رسول الله ﷺ وعائشة رضي الله عنها، أُلْفَةٌ ومحبةٌ ومودةٌ وسكنٌ، يُسعدها وتُسعده، يخدمها وتخدمه، يتلطف معها وتتلطف معه، وقد كانت شغف في شظف[1]، خلافا لما يظنه كثير من الناس من أن السعادة والراحة لا تتأتى إلا من خلال قصر مشيد، ومال وفير، ربطا منهم للسعادة بالماديات، وما علموا أنها أخلاق وتعامل وإحساس وشعور، وإن نظرة في البيت الذي جمع الحبيبيْن محمداً ﷺ وعائشة رضي الله عنها؛ ليبدد هذا الظن ويقضي عليه .

يقول السيد سليمان الندوي: (إن البيت الذي بنى فيه النبي ﷺ بعائشة لم يكن قصرا عاليا رفيعا فخما، وإنما كان عبارة عن حجر وغرف صغيرة في حي بني النجار، مبنية حول المسجد النبوي الشريف، بناها النبي ﷺ لتكون مساكن له ولأهله، وكان مساكن قصيرة البناء قريبة الفناء، ومن بينها كانت حجرة عائشة رضي الله عنها . . .وكان عرض الحجرة ستة أو سبعة أذرع، وجدارها من الطين، وسقفها من جريد النخل، قصير حيث يناله كل من يقف، مغشاة من

(١) شَغَفَهُ الحب أي بلغ شغافه، ومنه ما حكاه الله تعالى عن قول النسوة في قصة يوسف عن امرأة العزيز (قد شغفها حبا). والشغاف: غلاف القلب أو حجابه أو حبته أو سويداؤه. وأما الشظف فهو: الضيق والشدة ويبس العيش وشدته. انظر: مختار الصحاح (شغف ص٣٥٤) والقاموس المحيط (شظف ص١٠٦٥).



خارج بمسوح الشعر ، لكي تكون وقاية من المطر . . .وكان جهاز بيت النبي ﷺ وأثاث حجرته محتويا على سرير وحصير ، ووسادة من أدم حشوها ليف ، وأهب معلقة ، وقربة ، وإداوة للماء والتمر ، وقصعة لشرب الماء . . .لم يكن هناك سراج ولا مصباح يضيء البيت وينوره) .[١]

أما الطعام فتقول أمنا :(ما شبع آل محمد ﷺ من خبز بر مأدوم ثلاثة أيام حتى لحق بالله) .[٢] وتقول :(إنه ليأتي على آل محمد الشهر ما يختبزون خبزا ولا يطبخون قدرا)[٣] وفي رواية : (لقد كان يأتي على آل محمد ﷺ الشهر ما يرى في بيت من بيوته الدخان) .[٤] وإنما كان طعامهم والحالة تلك (الأسودان : التمر والماء) .

وأنت تعلم كم من ثري من أثرياء العالم لما جمع وأوعى ، ثم كبر وشقى ، صرخ في وجه العالم قائلا :

خذوا شطر ثروتي أو كلها ، وأعطوني السعادة !

●●●

(١) الدر الثمين (ص٥٢-٥٣).
(٢) متفق عليه : صحيح البخاري (٥٤٢٣) ، صحيح مسلم (٧٦٣٥).
(٣) مسند أحمد بن حنبل (٢٤٦٧٥).
(٤) سنن ابن ماجه (٤١٤٥).






عائشة
رضي الله عنها
وغيرتهن
غيرتها



غزن وحق لهن أن يغزن منها



إن الغيرة لاسيما عند النساء شيء لا يمكنهن الانفكاك عنه ، بسبب الطبيعة العاطفية الغالبة فيهن ، وهي (أي الغيرة) – في درجاتها الطبيعية – لمن أعظم الدلائل على محبة الزوجة لزوجها وتعلقها به وخوفها عليه .

وليست مجرد الغيرة أمرا مذموما – إذ لولا الغيرة التي أودعها الله في القلوب ما تحرك الصالحون للدعوة إلى الخير وإنكار المنكر ونصرة الدين – ، ومما يدل على أنها لا تذم بإطلاق ؛ قوله ﷺ :**(إن الله يغار ، وإن المؤمن يغار ، وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرم الله)**[١] .

وإنما إذا ترتب عليها ظلم للغير وتعد على الآخرين بقول أو فعل أو شك ؛ ذُمَّت ودخلت في دائرة المحظور المآخذ عليه ، يدل على ذلك قوله ﷺ : **(إن من الغيرة ما يحب الله ومنها ما يبغض الله ؛ فالغيرة في الريبة يحبها الله ، والغيرة في غير ريبة يبغضها الله)** .[٢]

ولأن محبة النبي ﷺ لعائشة أمرٌ متواترٌ مستفيضٌ لا يخفى على بصير ، لم تسلم حياتهما الزوجية من شيء من الغيرة ، فتارة كانت بقية نسائه يغرن منها ،

---

(١) رواه مسلم (٧١٧١).

(٢) مسند أحمد (٢٣٨٠١) وحسنه الأرنؤوط. الرِّيبَةُ : هي التهمة والشك. (مختار الصحاح ١/ ٢٦٧).



وتارة كانت تغار منهن .

لما كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة ، اجتمع نساؤه يوما إلى أم سلمة ، فقلن : يا أم سلمة ، والله إن الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة وإنا نريد الخير كما تريده عائشة ، فَمُرِي رسول الله ﷺ أن يأمر الناس أن يهدوا إليه حيثما كان أو حيثما دار .

فذكرت ذلك أمُّ سلمةَ للنبي ﷺ فأعرض عنها . فلما عاد ذكرته له فأعرض عنها . فلما كان في الثالثة قال : **(يا أم سلمة ، لا تؤذيني في عائشة ، فإنه والله ما نزل علي الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها)** .[1]

وتأمل قوله : **(لا تؤذيني في عائشة)** ولم يقل لا تؤذي عائشة ، ليبن ﷺ أن أذيتها أذية له ! وهذا من أرقى وأسمى درجات الحب بين الزوجين !

وتأمل كيف أن الوحي لم ينزل على الرسول ﷺ وهو في لحاف إحداهن غير عائشة رضي الله عنهن . لتعلم بعد هذين التأملين ما منزلتها عنده ؟ ! وما مكانتها في قلبه؟ !

وأنت خبير أن نزول الوحي وتوقيته ومكانه لا يملكه ﷺ ، وإنما هو أمر إلهي رباني ، فدل هذا على أن فضل عائشة رضي الله عنها على سائر أمهات المؤمنين رضي الله عنهن بأمر إلهي وتفضيل رباني واختيار سماوي ،

(١) متفق عليه : البخاري (٢٥٨١) ، مسلم (٦٤٤٣).



كما يقول الإمام الذهبي .[١]

ولما سمعت أمنا أمُّ سلمة جواب النبي ﷺ ، قالت رضي الله عنها : **أتوب إلى الله من أذاك يا رسول الله .**

ثم إنهن أرسلن فاطمة بنت رسول الله ث فقالت : إن نساءك ينشدنك العدل في بنت أبي بكر ، فكلمته فقال : **(يا بنية ، ألا تحبين ما أحب؟)** قالت : بلى . فقال في رواية مسلم : **(فأحبي هذه)**[٢] فرجعت إليهن وأخبرتهن ، فقلن : ارجعي إليه ، فأبت .

وتأمل كيف يصرح لابنته فاطمة بحبه لعائشة ، ويجعل حبها من حبه ، فمن أحب النبي ﷺ فليحبها .

ثم أرسلن زينب بنت جحش ، فأتته فأغلظت[٣] وقالت : إن نساءك ينشدنك الله العدل في ابنة أبي قحافة . فنظر ﷺ إلى عائشة وقال : **(إنها ابنة أبي بكر)** .

وهكذا لم يكتف ﷺ بسماع كلامهن ورفض طلبهن ، وإنما راح يدافع عنها

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٤٣).

(٢) وفي رواية عند أحمد (٢٥٢١٥) وصححها المحقق ، قال ﷺ:(أتحبيني؟ قالت : نعم. قال : فأحبيها).

(٣) أي في شأن عائشة ، كما تدل عليه بقية الروايات ومنها أنها قالت :(حسبك إذا برقت لك بنت بن أبي قحافة ذراعيها) فتح الباري (٥/ ٢٠٧).



ويظهر فضلها ويبين حبها .[١]

ولعلها رضي الله عنها كانت تُسْهِمُ أحيانا في إشعال الغيرة في قلوب نسائه كما كانت تغار منهن . .

فلما دخل الحبشةُ المسجدَ يلعبون ، وقال لها : يا حميراء أتحبين أن تنظري إليهم؟ فنظرت حتى قال : حَسْبُكِ . فقالت : لا تعجل يا رسول الله . قالت بعدها : **وما بي حُبُّ النظر إليهم ، ولكني أحببت أن يبلغ النساء مقامه لي ومكاني منه .**[٢]

●●●

غارت أُمُّكُم وإنَّ الغَيْرَى لا تُبْصِرُ أَسْفَلَ الوادِي مِنْ أَعْلاه :

لم تخلُ أم المؤمنين من غيرة هي أيضا ، بل ربما كانت لصغر سنها وعظم محبة النبي لها أكثر غيرة منهن ، فقد كانت تقول :(ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة **من كثرة ما كان النبي ﷺ يذكرها**) .[٣] أي أنها كانت كثيرة

---

(١) لا يفهم من كلام أمهات المؤمنين السابق أن النبي ﷺ لم يكن عادلا معهن، لأن العدل المطلوب من الزوج في أقواله وأفعاله هو، لا في أقوال الناس وأفعالهم، وسبب رفض النبي ﷺ لطلبهن، لأن تحري الناس إهداء الهدايا في يوم عائشة، أمر لا يملك النبي ﷺ تغييره أو المنع منه إذ هو من فعل الناس واختيارهم، والمرء إنما يؤاخذ بتصرفاته هو لا بتصرفات الناس.

(٢) فتح الباري (٢/ ٣٥٥).

(٣) متفق عليه : البخاري (٣٨١٧) ، مسلم (٦٤٣٠).



الغيرة من كثير من النساء ، وكانت غيرتها من خديجة أكبر وأعظم .

ولما تزوج النبي ﷺ بأمنا أم سلمة رضي الله عنها ، وسمعت أمنا عائشة رضي الله عنها عن جمالها ، غارت في بادئ الأمر ، تقول رضي الله عنها : (**لما تزوج رسول الله ﷺ أم سلمة حزنت حزنا شديدا لما ذكروا لنا من جمالها** ، فتلطفت[1] حتى رأيتها ، فرأيتها والله أضعاف ما وصفت لي في الحسن والجمال ، فذكرت ذلك لحفصة - وكانتا يدا واحدة - فقالت : لا والله إن هذه إلا الغيرة ، ما هي كما يقولون ، فتلطفت لها حفصة حتى رأتها فقالت : قد رأيتها ، ولا والله ما هي كما تقولين ولا قريب ، وإنها لجميلة ، قالت : فرأيتها بعد ، فكانت كما قالت حفصة ولكني كنت غيرى) .[2]

ودخل ﷺ عليها مرة ، فسألته : **أين كُنْتَ منذ اليوم؟** قال : **يا حميراء عند أم سلمة** . تقول : فقلت : **ما تشبع من أم سلمة؟** قالت : **فتبسم** .[3]

فانظر كيف أنه لم يعنف ولم يتأفف من سؤالها ، لِما يعلمه أنها ما سألت هذا السؤال إلا بدافع الحب والغيرة والاهتمام ، ولو أن زوجةً سألت زوجها في زماننا مثل هذا السؤال لربما أجابها بوابل من الشتائم ،

---

(١) يقال لَطَفَ أي : رفق ودنا. (انظر القاموس المحيط ١١٠٢).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٠٩).

(٣) الطبقات الكبرى (٨/ ٥٥) ، وقد تقدم الكلام على أحاديث الحميراء وأنه لا يصح منها إلا حديث واحد ، انظر ص١٧.



وفتح عليها سيلا من الصرخات والزفرات ، قائلا لها : ليس ذاك من شأنك؟ أخرجُ متى أريدُ وأرجعُ متى أريد؟ وغير ذلك من العبارات التي تدل على قلة فهمٍ لنفسية المرأة ، وجهل بما ينبغي عليه أن تكون العلاقة الزوجية .

مهارة زوجية ٢٠

وكان ﷺ يتفهم غيرة أم المؤمنين عائشة لاسيما مع صغر سنها وتفضيله لها، ويعذرها بذلك ما لم يخرج عن إطاره الطبيعي، « لأن المرأة الغيراء في تلك الحالة يكون عقلها محجوبا بشدة الغضب الذي أثارته الغيرة»[١]، ولذا كان ﷺ يخفف من شأن الغيرة على الرجال فيقول لهم :(إن الله كتب الغيرة على النساء).[٢] وما ذاك إلا لأن الغيرة علامة من علامات الحب، فهل يؤاخذ المُحِبُّ ؟!!

ولعل في الأحداث التالية ما يبين ذلك :

فقد كان النبي ﷺ مرة في سفر ، ومعه صفية وعائشة رضي الله عنهما ، وكان متاعها

(١) فتح الباري (١١/ ٦٧٨).
(٢) قال ابن حجر في الفتح (١١/ ٦٧٩) : (أخرجه البزار وأشار إلى صحته ، ورجاله ثقات).





خفيفاً وجملها نشيطاً ، وكان متاع صفية فيه ثقل وجملها بطيء يبطئ بالركب .

فأمر ﷺ أن يُحَوَّل متاع صفية الثقيل على جمل عائشة ، ومتاع عائشة الخفيف على جمل صفية حتى يمضي الركب ، تقول :

فلما رأيت ذلك ، قلت : يا لعباد الله ، غلبتنا هذه اليهودية على رسول الله .

فقال ﷺ : **(يا أم عبدالله ، إن متاعك كان فيه خف ، وكان متاع صفية فيه ثقل ، فأبطأ بالركب ، فحولنا متاعها على بعيرك ، وحولنا متاعك على بعيرها) .**

فقلت : ألست تزعم أنك رسول الله . قالت : فتبسم وقال : **(أَوَفِي شك أنت يا أم عبدالله) ؟**

قلت : ألست تزعم أنك رسول الله ؛ فهلا عدلت ! تقول : وسمعني أبوبكر وكان فيه غرب – أي حدة – ، فأقبل علي فلطم وجهي ، فقال رسول الله ﷺ : مهلا يا أبا بكر . فقال : يا رسول الله ، أما سمعت ما قالت . فقال ﷺ : **إن الغيرى لا تبصر أسفل الوادي من أعلاه** .[1] يعتذر لها مراعيا لنفسيتها وعاطفتها ﷺ .

---

(١) رواه أبويعلى وقال ابن حجر : وسنده لا بأس به. فتح الباري (٩/ ٤٠٦) وقد علق الشيخ عثمان الخميس على هذا الحديث بقوله :(فيه نكارة في المتن فيما أظن) ثم وقفت عليه في سلسلة الأحاديث الضعيفة في موضعين منها فانظره برقم (٢٩٨٥ – ٤٩٦٧).



مهارة زوجية ٢١

فتأمل كيف اعتذر لغضبها بقوله :(إن الغيرى ...) ، بل وتأمل كيف لم يبادلها الغضب بغضب وحِدَّةٍ ، وإنما راح يبرر لها قراره (لماذا بدلوا متاع صفية بمتاعها ؟) ، وهذا درس للأزواج خلافا لما يظنه البعض منهم أن التبرير والبيان مناف للرجولة والقوامة !!

ومرة أهدت له إحدى أمهات المؤمنين إناء فيه طعام ، وبعثته مع خادم وكان في يوم عائشة ، فغارت رضي الله عنها فضربت الإناء بيدها فسقط وانكسر ، فما كان من النبي ﷺ إلا أن جمع الكسرتين ، وضم بعضها إلى بعض ، وجعل يجمع الطعام مِنْ على الأرض وهو يعتذر لها ويقول :**(غارت أمكم ، كلوا)** .[١]

مهارة زوجية ٢٢

فقوله (غارت أمكم) اعتذار منه لصنيعها ، وأنه لم يكن عن سوء خلق ومحبة للعدوان حاشاها ذلك ، وإنما بسببٍ لا تملك دفعه، وهو الغيرة المركبة في نفوس النساء، و التي أشد ما تكون بين الضرائر. [٢]

(١) البخاري (٥٢٢٥) ومسند أحمد (١٢٠٤٦).
(٢) فتح الباري (٦/ ٦٠٤).





وقوله (أمكم) نباهة وفطنة ؛ لبيان أن هذا الصنيع منها لا يخرجها عن كونها أمكم ، فاحترموا أمكم وقدروها ، وإياكم والكلام فيها ، إذ أيتكلم الرجل في أمه ، ولو فعلت ما فعلت؟ !

وقوله (كلوا) صرفٌ لأذهانهم عن الموقف الذي حدث ، وإشغالٌ لهم بما من شأنه أن ينسيهم إياه ، وهذا ذكاء زوجي ثانٍ في معالجة المواقف والمشكلات ، وفطنة منه ﷺ جديرة بالاهتمام .

ومما يبين عدم قصد صنيعها هذا قولها : **(فما ملكت نفسي أن كسرته)** ، ومما يبين كمال ورعها وإنصافها قولها : **(. . . فقلت : يا رسول الله : ما كفارته؟ فقال : (إناء كإناء وطعام كطعام)** .[1]

ولأن المسألة تتعلق بحقوق الغير ، أخذ ﷺ قصعة عائشة الصحيحة وأعطاها لمن أرسلت له الطعام ، وترك المكسورة عند عائشة ، إقامة لموازين العدل والإنصاف رغم شديد محبته لها واهتمامه بها .[2]

مهارة زوجية ٢٣

ومن أساليبه ﷺ في صرف الغيرة عنها : محاورتها ، فتندمج معه في الحوار وتنسى أصل المسألة التي غارت من أجلها .

---

(١) مسند أحمد (٢٥١٩٦) وحسن إسناده الأرنؤوط.

(٢) رواه البخاري (٢٤٨١).



فمرة خرج من عندها ليلا ، قالت : **فغرت عليه** . فجاء فرأى ما أصنع .

فقال ﷺ : **مالك يا عائشة ؛ أغرت؟**

فقلت : **ومالي لا يغار مثلي على مثلك** .

فقال ﷺ : أقد جاءك شيطانك؟

فقالت : يا رسول الله أَوَمَعِيَ شيطان؟

قال ﷺ : نعم .

قلت : ومع كل إنسان؟

قال ﷺ : نعم .

قالت : ومعك يا رسول الله؟

قال ﷺ : نعم ، ولكن ربي أعانني عليه حتى أسلم.[١]

وهذا من أجود الأساليب في صرف الغيرة والفورة والغضب عن النساء : أعني محاورتها فيما تحب الحوار فيه .

والمتأمل في الغيرة التي أودعها الله في قلوب النساء ، يجد أنها في كثير من الأحيان تكون نعمة ورحمة – وذلك إذا لم يترتب عليها تَعَدٍ بقول أو فعل ، وقوبلت من الزوج بتفهم تام لحالة المرأة ونفسيتها ، وأنها إذا أحبت إنسانا أتعبته في محبتها له – إذ تضفي (أي الغيرة) على البيت نوعا من الفرح والمرح ، وتزيد الألفة والمحبة ، متى ما أسحن الزوج التعامل معها .

(١) رواه مسلم (٢٨١٥).



واستمع إلى حديثها التالي :

قالت رضي الله عنها : **(افتقدت النبي ﷺ ذات ليلة ، فظننت أنه ذهب إلى بعض نسائه ، فتحسست ثم رجعت فإذا هو راكع أو ساجد يقول :(سبحانك وبحمدك لا إله إلا أنت) فقلت : بأبي أنت وأمي ! إني لفي شأن وإنك لفي آخر)** .[١]

ومرة كانت عائشة وحفصة مع الرسول ﷺ في سفر ، وكان ﷺ إذا كان بالليل سار مع عائشة يتحدث معها .

فقالت حفصة لعائشة : (ألا تركبين الليلة بعيري ، وأركب بعيرك فتنظرين وأنظر) قالت : بلى . فركبت كلٌ منهما على بعير الأخرى ، فجاء ﷺ إلى جمل عائشة وعليه حفصة ، فسلم ، ثم سار معها حتى نزلوا **وافتقدته عائشة ، فغارت** .

فلما نزلوا جعلت تجعل رجلها بين الإذخر[٢] ، وتقول : **يا رب سلط علي عقربا أو حية تلدغني ، رسولُك ولا أستطيع أن أقولَ له شيئا** .[٣]

بل كانت من شدة حبها وتعلقها بالنبي ﷺ ؛ ربما غارت هذه المرة من إحدى

---

(١) رواه مسلم (١١١٧).
(٢) نبات أو حشيش.
(٣) متفق عليه : رواه البخاري (٥٢١١) ، مسلم (٦٤٥١).



بناته لا نسائه ، فقد ذَكَرَ ﷺ مرة فاطمة في حضرتها ، فغارت وتكلمت رضي الله عنها ، فقال لها : **أما ترضين أن تكوني زوجتي في الدنيا والآخرة . فقالت : بلى والله . فقال ﷺ : (أنت زوجتي في الدنيا والآخرة) .**[١]

بل وربما غارت من امرأة سوداء كبيرة عجوز أجنبية عنه . .

فقد دخلت مرة امرأة سوداء على النبي ﷺ فأقبل عليها ، يقول : (من أنت)؟ قالت : أنا جُثامة المزنية . فقال : (بل أنت حسانة المزنية ، كيف أنتم؟ كيف حالكم؟ كيف كنتم بعدنا) ، فلما خرجت ، قالت رضي الله عنها : **يا رسول الله أقبلت على هذه السوداء هذا الإقبال !** فقال ﷺ : **(إنها كانت تدخل على خديجة ، وإن حسن العهد من الإيمان) .**[٢]

ومرة استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة على النبي ﷺ ، فارتاع[٣] لذلك فقال : (اللهم هالة) . قالت – أي عائشة– : **فَغِرْتُ ،** فقلت : ما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين – يعني كبيرة السن – هلكت في الدهر ، قد أبدلك الله خيرا منها .[٤] تعني خديجة ، فقال ﷺ : **(ما أبدلني الله عز وجل خيرا منها ، قد آمنت بي إذ كفر الناس ، وصدقتني إذ كذبني**

(١) متفق عليه : رواه البخاري (٥٢١١) ، مسلم (٦٤٥١).
(٢) مستدرك الحاكم (٤٠) وصححه ، ووافقه الذهبي.
(٣) أي اتسع وانشرح من الفرح بقدومها.
(٤) رواه البخاري (٣٨٢١).



الناس ، وواستني بمالها إذ حرمني الناس ، ورزقني الله أولادها إذ حرمني أولاد النساء) .[1]

فلم يمنعه حبه لعائشة أن يصرح بحبه لخديجة ويذكر من خصالها ما ليس عند غيرها . ولذا سيأتي في رواية قولها :**(والله لا أذكر خديجة بعدها إلا بخير)** .

تنبيه :

وهذه الغيرة التي كانت في قلوب أمهات المؤمنين ؛ هي غيرة طبيعية جِبِلِّيَّة من أصل خلقة النساء ، فلم تتعد حدودها ولاتجاوزت ضوابطها ، ولذا بقيت كل واحدة منهن تحب الأخرى وتثني عليها ، ويمكن أن أقرب لك التصور أكثر بضرب المثال التالي :

فالأولاد الصغار الإخوة ، تجدهم يحبون بعضهم بعضا ويلعبون مع بعضهم ، ومع هذا لا تسلم نفوسهم من غيرة ، ويحب كل واحد منهم أن يكون الأقرب من والديه ، والأحسن من الآخر ، وقل مثل هذا في التلاميذ مع مدرسهم ، والمتربين مع مربيهم وهكذا .

---

(١) مسند أحمد(٢٤٩٠٨) وقال ابن كثير: وإسناده لا بأس به. (البداية والنهاية ٤/ ١٢٨) ، وقال محقق المسند – الأرنؤوط –:(حديث صحيح وهذا سند حسن في المتابعات)،وقد ذكره الحافظ في الفتح في موضعين وسكت عنه (٧/ ١٤٠)(٩/ ٣٢٦). وعلق الشيخ عثمان الخميس قائلا:(الذي يظهر أنه لا يصح، ولو صح ما اختلف العلماء في فضل خديجة).



وتأمل صنيع أمنا عائشة حينما تثني على ثاني امرأة في قلب النبي ﷺ لتتيقن مما أقول : تقول عائشة رضي الله عنها في حديث شكوى نساء النبي من تحري الناس تقديم هداياهم للنبي في يومها : (فأرسل أزواج النبي ﷺ زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ ، **وهي التي كانت تساميني منهن في المنزلة عند رسول الله ﷺ ، ولم أر امرأة قط خيرا في الدين من زينب وأتقى لله ، وأصدق حديثا ، وأوصل للرحم ، وأعظم صدقة ، وأشد ابتذالا لنفسها في العمل الذي تصدق به وتقرب به إلى الله تعالى ، ما عدا سَوْرَة من حَد كانت فيها ، تسرع منها الفيئة)** .[١]

وتقول عن صفية : **ما رأيت صانعة طعام مثل صفية** .[٢] تمدحها في ذلك .

وسيأتي كلام أم سلمة في يوم وفاة عائشة .

●●●

(١) مسلم (٦٤٤٣) أي كان فيها حدة غضب تنتابها وكانت سريعة الرجوع عنها والعودة لحالتها المعتادة.
(٢) سنن النسائي (٣٩٥٧) ، مسند أحمد (٢٥١٩٦) وحسن إسناده الأرنؤوط.






عائشة
رضي الله عنها
أحوال زوجية: الضحك - الحزن -
المرض - الغضب - زهد وكرم



لماذا ضحك النبي ﷺ ؟



إن المرأة الصالحة هي التي تتحبب إلى زوجها فتتلطف معه وتمازحه وتسره بنظراتها وبكلامها[١]، وقد كانت عائشة لرسول الله ﷺ تلك الزوجة .

فكانت تمازحه في بكارتها فتقول : يا رسول الله ، أرأيت لو نزلت واديا فيه شجرة قد أكل منها ، ووجدت شجرة لم يؤكل منها ، فأيهما كنت ترتع بعيرك؟ **فكان يقول : (الشجرة التي لم يؤكل منها)** . فتقول : فأنا هي .[٢]

وهبّت ريح ذات يوم فكشفت ناحية الستر عن بناتٍ لُعَبٍ لها ، فقال ﷺ : ما هذا يا عائشة؟ قالت : بناتي . ورأى بينهن فرسا لها جناحانِ من رِقَاع . فقال ﷺ : (ما هذا الذي أرى وسطهن)؟ قالت : فرس . قال ﷺ : (وما هذا الذي عليه)؟ قالت : جناحان . قال ﷺ : (فرسٌ له جناحان)؟ ! قالت : أما سمعت أن لسليمان خيلا لها أجنحة . قالت : **فضحك حتى رأيت نواجذه** .[٣]

ومرة أتت النبي ﷺ بحساء طبخته له ، وكان ﷺ جالسا بينها وبين سودة ، تقول : فقلت لسودة : كلي . فأبت . فقلت : لتأكلن ، أو لألطخن وجهك؟

(١) كما قال صلى الله عليه وسلم لما سئل : أي النساء خير؟ قال :(التي تسره إذا نظر، وتطيعه إذا أمر، ولا تخالفه في نفسها ومالها بما يكره) رواه النسائي (٣٢٣١) وهو حسن صحيح، قاله الألباني.

(٢) رواه البخاري (٥٠٧٧).

(٣) رواه أبوداود (٤٩٣٢) وصححه الألباني.



فأبت . فوضعتُ يدي في الحريرة (الحساء) فطليت وجهها ، **فضحك النبي** ﷺ ، فوضع بيده لها وقال لها : الطخي وجهها . فَفَعَلَتْ ، **فضحك النبي** ﷺ . ثم قال : **قوما فاغسلا وجوهكما** .[1]

مهارة زوجية ٢٤

وهكذا ينبغي على الزوجين أن يَتَبَسَّم كُلٌّ منهما للآخر، وأن يبش في وجه صاحبه ، فقد كان ﷺ يضحك ويتبسم مع زوجاته أكثر مما يكون مع أصحابه وسائر الناس، خلافا لما يفعله كثير من الأزواج اليوم؛ حيث ينبسط ويتضاحك مع أصحابه وزملائه ما لا يصنع مثيله ولا قريبا منه مع زوجته !!

وَنِعْمَ المرأة تلك التي تلاطف زوجها وتعطيه من خفة روحها ، وتدخل السرور في قلبه وقلبها بمثل هذه المداعبات والكلمات ، وهو مطلوب في كل علاقة اجتماعية ، وحاجته في العلاقة الزوجية أشد وأكبر .

وقد سُئِلَتْ رضي الله عنها عن خلقه ﷺ إذا خلا بنسائه فقالت : كان كالرجل من رجالكم إلا أنه كان أكرم الناس ، وأحسن الناس خلقا ، وألين الناس في قومه وأكرمهم ، ضحَّاكاً بسَّاماً .[2]

---

(١) رواه أبويعلى (٤٤٧٦) وحسن إسناده محقق الكتاب : حسين سليم أسد.

(٢) الطبقات الكبرى (١/ ٣٦٥) وضعفه الألباني كما في الضعيفة (٤١٨٥).



وهذا المزاح والضحك مما لا يخدش حياء ولا يميت قلبا ولا يخرم مروءة ، والممنوع منه هو أن تتعالى الأصوات ويزعج الجيران ويخل بالأدب ويَكْثُر حتى يكون صفة غالبة تُقَسِّي القلب وتُضْعِف اهتماماته بالأمور العظيمة ، ولذا تقول رضي الله عنها : ما رأيت النبي ﷺ مستجمعا قط ضاحكا حتى أرى منه لهواته ، إنما كان يتبسم .[1]

●●●

(١) صحيح البخاري (٦٠٩٢). فتح الباري (١٣ / ٣٩٥) : قولها (لهواته) هي اللحمة المتعلقة في أعلى الحنك كما في الفتح، وقال الحافظ: (إنما كان يتبسم) لا ينافي هذا ما جاء في الحديث الآخر « أنه ضحك حتى بدت نواجذه » لأن ظهور النواجذ – وهي الأسنان التي في مقدمة الفم أو الأنياب – لا يستلزم ظهور اللهاة .







ماذا كان ﷺ يفعل إذا حزنت؟

لاشك أن كل حي في هذه الدنيا كُتب عليه نصيب من حُزن يدخله وكَبد يعيشه ، لظرف أو موقف أو كلمة . ولا تخلو حياة الزوجين الصالحين من ذلك أيضا .

يحدث أحيانا أن يُفاجأَ الزوج بزوجته وهي في غاية الحزن ، فما التصرف الحكيم؟

مهارة زوجية ٢٥

لقد كان من هديه ﷺ أن يستفسر عن سبب الحزن أولا ، ثم يواسي زوجته الحزينة بكلمات تخفف عنها حزنها وتطيب خاطرها، ثم يقرر حَلاًّ سريعا يعوضها به عما فاتها وحزنت عليه.



وتأمل تصرفه في هذا الموقف !

قال القاسم : سمعت عائشة تقول : خرجنا لا نرى إلا الحج[1] ، فلما

(١) أي : لا نظن إلا قصد الحج .



كنا بسَرِف[١] حضت ، فدخل علي رسول الله ﷺ وأنا أبكي ، قال : ما لك أنفست؟ قلت : نعم . قال : إن هذا أمر كتبه الله على بنات آدم ، فاقضي ما يقضي الحاج غير أن لا تطوفي بالبيت ."[٢]

ومتى ما اهتم الرجل بحزن امرأته ونفسيتها ؛ لقي منها ذات الاهتمام إذا حزن أو اغتم ، فتبادره بسؤاله عن سبب ما هو فيه ، إذ نصف غم المحزون يزول بمجرد إخباره وفضفضته عما اختلج في خاطره واستوطن نفسه .

تقول رَضِيَ اللهُ عَنْهَا : خرج النبي ﷺ من عندي وهو قرير العين طيب النفس ثم رجع إلي وهو حزين ! فقلت : **يا رسول الله ، إنك خرجت من عندي وأنت قرير العين طيب النفس ، ورجعت وأنت حزين؟** فقال ﷺ : (إني دخلت الكعبة ووددت أني لم أكن فعلت ، إني أخاف أن أكون أتعبت أمتي من بعدي) ."[٣]

ومن الملاحظ ونحن نتطرق لموضوع الحزن أن أم المؤمنين "لم تكن لها ذرية ولم تلد ولدا ، ومع ذلك فلم يصبها حزن أو تأسف على ذلك ، فلم تشتك طول حياتها" [٤].

(١) مكان معروف خارج مكة. فتح الباري (١٠ / ٥).
(٢) صحيح البخاري (٢٩٤).
(٣) مسند أحمد (٢٥١٠٠) وحسنه الأرنؤوط. وقوله (خاف أن أكون أتعبت أمتي من بعدي) لأن كثيرا من الناس إذا سمعوا بهذا رغبوا في الاقتداء به ودخول الكعبة، وهو أمر لا يمكن لأي أحد!
(٤) الدر الثمين للندوي ص١٤ . وقد تقدم بيان بطلان ما روي أنها أسقطت ولدا سماه النبي ﷺ عبدالله.



مهارة زوجية ٢٦

وهذا الأمر ليدلنا على عمق إيمان عائشة رضي الله عنها بعقيدة القضاء والقدر، وهكذا الزوجة الصالحة لا تملك أمام مصائب الدنيا إلا الرضا والتسليم بما قدره الله عليها، إذ بغير ذلك تصير المرأة أسيرة للحزن والتعاسة والشقاء، بما يُؤثر على حياتها الشخصية وعلى علاقتها بزوجها بل وبالناس من حولها، وربما أصابها جملة من الأعراض النفسية التي ربما يطول الفكاك منها لو أرادت؛ كالكآبة والانعزال والقلق وكثرة البكاء واهتزاز الشخصية واضطراب الفكر[1]، فهذا نداء إلى كل من حُرِمَت الولد، أما لك في أمكِ أسوة ؟!!

●●●

(١) وربما زاد الأمر سوءا وأصيبت بأمراض عضوية كاعتلال الصحة وضعف البدن وغير ذلك، مما نعرفه عن بعض من أصيبت بذلك.









ماذا كان ﷺ يفعل إذا مرضت؟



مهارة زوجية ٢٧

نعم الرجل ذاك الذي إذا أصاب زوجته شيء من الوعك أو الألم والمرض ، شاركها ألمها ، وداعبها بكلامه حتى يخفف عنها ما هي فيه ، بل راح يبحث بنفسه عما ينفعها ويقويها من الدواء والغذاء ، وهو ما كان ﷺ يفعله ، لعلمه بأن النفس أشد ما تكون محتاجة لمثل هذا الحنان و العطف والرعاية حال اعتلالها .

دخل ﷺ عليها مرة وهي تجد صداعا في رأسها ، وتقول : وارأساه . فقال : **بل أنا والله يا عائشة وارأساه** . ثم قال ﷺ : **وما يضرك لو مت قبلي ، فقمت عليك فكفنتك ، ثم صليت عليك ودفنتك؟** قالت : **والله لكأني بك لو فعلتَ ذلك قد رجعتَ إلى بيتي فأعرست فيه ببعض نسائك** . **فتبسم رسول الله ﷺ.** [١]

قال الزركشي :(فيه إشارة للغاية في الموافقة ، حتى تألم بألمها ، فكأنه

(١) مسند أحمد (٢٥٩٥٠) وحسن إسناده الأرنؤوط.



أخبرها بصدق محبتها حتى واساها في الألم) .[١]

وتُحدِّثنا أمّنا عن تلطفه معها وعنايته بها في حال مرضها فتقول :(**كان رسول الله ﷺ إذا أخذ أهله الوعك ، أمر بالحساء فصنع ، ثم أمرهم فحسوا منه** ، ثم يقول ﷺ :(إنه ليرتو فؤاد الحزين ويسر عن فؤاد السقيم ، كما تسروا إحداكن الوسخ بالماء عن وجهها) .[٢]

فأين هديه ﷺ ، من صنيع بعض أزواج زماننا حين يذهبون بالزوجة إلى بيت أهلها عند مرضها ، أو يتركونها طريحة الفراش لوحدها في بيتها ، بلا رعاية ولا حنان ولا إيناس ، وما علموا أن في زيارة المريض الغريب صلاة سبعين ألف ملك على الزائر كما صح بذلك الحديث[٣] ، فكيف إذا كان المريض قريبا بل أقرب قريب ، فكيف سيكون الأجر والثواب ؟!!

ومن حرصه ﷺ عليها ومحبته لها واهتمامه بها ، أنه كان يأمرها أن تسترقي من العين[٤]، لما يعلم من شدة جمالها ، بل كان يمسح عليها بيمينه ويعوذها

---

(١) الإجابة (ص٧٦).

(٢) مسند أحمد (٢٣٩١٧) وصححه أحمد شاكر. وهو في سنن الترمذي وابن ماجه وضعفه الألباني في تحقيقه لهما، إلا أنه صححه في صحيح الجامع – ولعله تراجع عنه وصار إلى تضعيفه فلينظر–، وممن صححه أيضا الترمذي حيث قال : هذا حديث حسن صحيح.

(٣) رواه أبوداود (٣٠٩٩) وابن ماجه (١٤٤٢) وقال الحاكم : حديث صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي. وقال الألباني :(وهو كما قالا) ونقل كلمة أبي داود عقبه :(أسند هذا عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير وجه صحيح) انظر السلسلة الصحيحة (٣/ ٤٤١ رقم ١٣٦٧).

(٤) مسند أحمد (٢٤٣٩٠) وصحح إسناده الأرنؤوط.



بهذه الكلمات : (اذهب البأس رب الناس ، واشف إنك أنت الشافي ، لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما) .[١] فتقول رضي الله عنها : فلما ثقل رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه أخذت بيده فجعلت أمسحه بها وأقولها . .[٢]

وقد مضى معنا مرارا جملة من الأخلاق والتعاملات التي كان ينتهجها النبي ﷺ مع عائشة ، فترسَّخت هذه الأخلاق والتعاملات في نفسها هي الأخرى ، فصارت تنتهج معه ذات النهج ، وهذا من أبلغ مناهج التعليم والغرس سواء مع الزوجة أو الأولاد أو المدعوين .

●●●

(١) مسند أحمد (٢٤٢٢١) وصحح إسناده الأرنؤوط.
(٢) مسند أحمد (٢٤٢٢٨) وصحح إسناده الأرنؤوط.







وغضبت عائشة

فماذا كانت تفعل؟ وماذا كان يفعل معها ؟

لم ولن يخلو بيتُ زوجيةٍ من طروء مشكلة أو عتاب مهما كانت درجة تدينه واستقامته ، إلا أنها في البيت المتدين[١] أقل منها في غيره ، وأسرع في البُرء والانتهاء .

وقد كانت أمنا رضي الله عنها ربما تغضب من تصرفٍ باعثه الغيرة ، أو شدة الحب والتعلق ونحو ذلك مما يعتري النساء ، فماذا كانت تصنع إذا غضبت؟

قال لها ﷺ يوما : (إني لأعلم إذا كنت عني راضية وإذا كنت علي غضبى) . قالت : **ومن أين تعرف ذلك؟** قال : (أما إذا كنت عني راضية ، فإنك تقولين لا ورب محمد . وإذا كنت غضبى قلت : لا ورب إبراهيم) . فكانت تقول له : **أجل والله يا رسول الله ما أهجر إلا اسمك .**[٢]

وهذا رُقِيٌّ منها في التعامل مع الغضب والانزعاج، فيكفي الزوجة أن تُشْعر زوجها بما سببه لها، دون مبالغة أو تضخيم.

بل بلغت محبته ﷺ لها أن يترضاها إذا غضبت ، وهو ما لا يفعله إلا زوج يحب زوجته بصدق ..

(١) ونعني بالتدين هنا التدين في الباطن والخُلُق، قبل أن يكون في الظاهر وللخَلْق !

(٢) متفق عليه : البخاري (٥٢٢٨) ، ومسلم (٦٤٣٨).



فقد استأذن أبوبكر الصديق ﷺ على النبي ﷺ يوما ، فسمع عائشة وهي رافعة صوتها على رسول الله ، فأذن له فدخل . فقال : يا ابنة أم رومان ، أترفعين صوتك على رسول الله ! فحال النبي ﷺ بينه وبينها ثم خرج أبو بكر ، فجعل ﷺ يترضاها ويقول : **(ألا ترينى أني قد حِلْتُ بين الرجل وبينك)** .

ثم استأذن أبو بكر مرة أخرى **فسمع تضاحكهما** ، فقال ﷺ : أشركاني في سلمكما كما أشركتماني في حربكما .[١]

وتأمل هذا الأسلوب النبوي في إسكات غضبها ، تقول ﷺ : دخل رسول الله ﷺ **وأنا غضبى** ، فأخذ بطرف المفصل من أنفي فعركه ثم قال : **(يا عويش قولي : اللهم اغفر ذنبي ، وأذهب غيظ قلبي ، وأجرني من الشيطان)** .[٢]

ولا تجد في سيرته ﷺ معها ومع غيرها إلا اللين والصفح والتغاضي والمعاملة بالأحسن ، حتى كانت تقول ﷺ : **(ما ضرب رسول الله ﷺ شيئا قط بيده ولا امرأة ولا خادما . .)** .[٣]

وهو الذي كان يوصي بالنساء خيرا ويقول : **(لا تضربوهن ولا تقبحوهن)** .[٤]

---

(١) أبوداود (٤٩٩٩) ، والنسائي في الكبرى (٩١٥٥) ، وأحمد في المسند (١٨٤١٨) وصححه الألباني كما في الصحيحة (٢٩٠١).

(٢) ضعيف وقد سبق تخريجه.

(٣) رواه مسلم (٦١٩٥).

(٤) سنن أبي داود (٢١٤٤) وصححه الألباني.



بل وكان إذا غضب عليها ، وضع يده على منكبها وقال :(اللهم اغفر لها ذنبها ، وأذهب غيظ قلبها ، وأعذها من مضلات الفتن) .[1]

وجرب بنفسك أسلوب الدعاء لمن أغاضك وأغضبك مع جميع من تلقاهم في حياتك ، وستجد كيف أن قلبك ينشرح ويرتاح ويذهب حره.

ومع كل هذه السماحة واللين منه ﷺ ؛ إلا أنه كان يغضب ، وربما يشتد عتابه لتصرفٍ لا ينبغي .

تحدثنا أمنا عائشة عن موقف تكلمت فيه بكلمةٍ فغضب ﷺ عليها وعاتبها ، تربيةً لها وتزكيةً ، لا انتقاماً وتشفِّياً !

فمما ذكرته لنا من ذكرياتها في ذلك ، أنها ذكرت مرة صفية ، وأشارت بيدها إلى قصرها ولم تتلفظ ، فقال ﷺ : لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته ! [2]

وفي موقف آخر قالت رضي الله عنها : كان رسول الله ﷺ إذا ذكر خديجة لم يكد يسأم من ثناءٍ عليها ، واستغفارٍ لها . فذكرها يوما ، فحملتني الغيرة فقلت : لقد عوضك الله من كبيرة السن ! قالت : فرأيته غضب غضبا شديدا ، أسقطت في خلدي وقلت في نفسي : اللهم إن أذهبت غضب رسولك عني

(١) رواه ابن عساكر في مناقب أمهات المؤمنين (ص١٤٣) وفيه ضعف.
(٢) رواه أبوداود (٤٨٧٥) وصححه الألباني.



لم أعد أذكرها بسوء ما بقيت .

فلما رأى النبي ﷺ ما لقيت ، قال :**(كيف قلت؟ والله لقد آمنت بي إذ كذبني الناس ، وآوتني إذ رفضني الناس ، ورزقت مني الولد إذ حرمتموه مني . قالت : فغدا وراح علي بها شهرا .**[١] أي ظل يعاتبها على ما بدر منها شهرا كاملا .

ولقد آتى عتابه ﷺ أُكُلَهُ ، وبان حسن خلق أمنا عائشة وطيب أصلها ، فقالت كما في الرواية :**(يا رسول الله ، اعف عني عفا الله عنك ، والله لا تسمعني أذكر خديجة بعد هذا اليوم بشيء تكرهه)** .[٢]

ولم تكن رضي الله عنها لترى رسول الله ﷺ غاضبا وتتركه دون أن تكلمه وتسأله عن سبب غضبه وتخفف عنه بكلماتها ، تقول رضي الله عنها : قدم رسول الله ﷺ لأربع مضين من ذي الحجة ، فدخل علي وهو غضبان . فقلت : من أغضبك يا رسول الله أدخله الله النار . فقال : (وما شعرت أني أمرت الناس بأمر فأراهم يترددون ، ولو أني استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي معي حتى أشتريه ثم أحل كما أحلوا) .[٣]

(١) المعجم الكبير (٢٣/ ٢١) وحسنه الهيثمي في المجمع (٩/ ٢٢٤) وقد تقدم نحوه من رواية الإمام أحمد في المسند وحسنه ابن كثير انظر ص٤٠ . وذكرت هناك تعليق الشيخ عثمان الخميس في عدم صحته، فلينظر.

(٢) المعجم الكبير (٢٣/ ١٤).

(٣) مسند أحمد (٢٥٤٦٤) وصحح إسناده الأرنؤوط.





كان ﷺ يوصي الرجال بأهلهم فيقول :(خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي) .[١]

وكان ﷺ يقول :(وخياركم خياركم لنسائهم) .[٢]

ومع كونه زاهدا في الدنيا إلا أنه لم يكن يضن على أهله بل كان كريما منفقا عليهم .

يقول ابن حزم : (وكان ينفق على نسائه كل سنة عشرين وسقا من شعير ، وثمانين وسقا من تمر ، هكذا رويناه من طريق في غاية الصحة ، وروينا من طرق فيه ضعف : أن هذا العدد لكل واحدة منهن في العام فالله أعلم ، فقد كان لكل واحدة منهن الإماء والعبيد والعتقاء في حياته ﷺ) .[٣]

وقال الشوكاني :(ثبت أن النبي ﷺ كان يعطي كل واحدة من زوجاته مئة وسق من خيبر) .[٤]

---

(١) رواه الترمذي (٣٨٩٥) وقال : حسن صحيح.
(٢) رواه الترمذي (١١٦٢) وقال : حسن صحيح.
(٣) جوامع السيرة (ص٣٤).
(٤) نيل الأوطار (٥/ ٢٢١).



وهو الذي كان يتلو على الناس :(وأما بنعمت ربك فحدث) .[١] وكان يحدث فيقول : (إن الله جميل يحب الجمال ويحب أن يرى أثر نعمته على عبده) .[٢]

وكان بلال بن رباح رضي الله عنه – مؤذن النبي ﷺ – هو الذي يتولى مسؤولية الأمور المنزلية ونفقات أهل النبي ﷺ ، فهو الذي يوزع الغلة عليهن ، ويستقرض إذا دعت حاجة إلى الاستقراض لتغطية المصاريف . يقول بلال : (كنت أنا الذي ألي ذلك – أي النفقة – منه منذ بعثه الله ، إلى أن توفاه الله) .[٣]

وكان ﷺ إذا دخل البيت تمثل :**(لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى واديا ثالثا ، ولا يملأ فمه إلا التراب ، وما جعلنا المال إلا لإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ويتوب الله على من تاب)** .[٤]

وقد «كان غرضه ﷺ من تكرار هذه الكلمات يوميا هو تذكير أهل البيت بفناء هذه الدنيا الزائلة وعدم ثباتها واستقرارها ، والحط من مكانة وأهمية المال في القلوب وتقليل قيمته» .[٥]

---

(١) نيل الأوطار (٥/ ٢٢١).
(٢) رواه ابن عساكر وصححه الألباني في الصحيحة (٢/ ٣٧٠).
(٣) سنن أبي داود (٣٠٥٧) وتكملته :(وكان إذا أتاه الإنسان مسلما فرآه عاريا يأمرني فأنطلق فأستقرض فأشتري له البردة فأكسوه وأطعمه ...).
(٤) مسند أحمد (٢٤٣٢١) وصححه الأرنؤوط دون قوله : وما جعلنا المال ... إلخ.
(٥) الدر الثمين ص٧٨.





مهارة زوجية ٢٨

وهذه مهارة زوجية يغفل عنها الكثيرون ، وهو أن يردّد الزوج أو الأب على مسامع أهل بيته طرفا من الحِكم الجامعة ، أو المواعظ القصيرة ، أو الأشعار البليغة، أو الأقوال المأثورة، فهي مع لطافتها وبلاغتها تؤثر في النفس، وترسخ في الذهن ، وكثيرا ما تُترجم واقعا عمليا في أهل البيت بحسب ما تقتضيه.

وقد كان ﷺ لا تعجبه مظاهر التنعم والعيش الهنيء والتزين الفاخر حتى مع إباحتها ، فكان يكره أن يرى شيئا من ذلك في بيته وعلى أهله . رأى يوما على عائشة مسكتي ذهب ، فقال ﷺ : **(ألا أخبرك بما هو أحسن من هذا ، لو نزعت هذا ، وجعلت مسكتين من ورق - أي فضة - ثم صفرتهما بزعفران ؛ كانتا حسنتين)** .[١]

وتقول رضي الله عنها : **نهانا رسول الله ثعن خمس - وذكرت منها - لبس الحرير والذهب ، فقلت له : يا رسول الله شيء رقيق من الذهب يربط به المسك . قال : (لا ، اجعليه فضة وصفريه بشيء من زعفران)** .[٢]

(١) رواه النسائي (٥١٤٣) وصححه الألباني.

(٢) مسند أحمد (٢٥٩٥٣) وضعف إسناده الشيخ الأرنؤوط.



وهذا محمول على الكراهة النفسية لا الشرعية ، فإن الإسلام يبيح الذهب والحرير للنساء ويحرمهما على الرجال ، وما ذهب إليه بعض الفضلاء من أن النهي خاص بأمهات المؤمنين ، أو أنه للإفراط والغلو في استعمالها ، أو أنه للكراهة التنزيهية لا التحريمية[١] ، لا يشهد له شيء من النصوص ولا أقوال أهل العلم في حدود علمي ، ويدل على ذلك ضعف الرواية الأخيرة مع قوله في الرواية الأولى وهي صحيحة : (ألا أخبرك بما هو أحسن من هذا ؟) ، والله أعلم .

●●●

(١) مسند أحمد (٢٥٠٩٣) وصححه الأرنؤوط.






عائشة
رضي الله عنها
التربية والتعليم
والسؤالات

تربيته وتعليمه ﷺ لأهل بيته

إن البيت المسلم مهما كانت درجة تدينه إلا أنه يبقى غير معصوم من الخطأ والزلل ، ولم يكن رسول الله ﷺ يجعل من شدة محبته لعائشة سببا لترك توجيهها وتعليمها ووعظها ؛ لاسيما إذا زلّت بكلمة أو تصرف .

وقد روت أمنا رضي الله عنها الكثير من المواقف التي عاتبها فيها النبي ﷺ وأنبها عليها ، لنتعلم من هذه المدرسة النبوية الجليلة الوسطية في الحب والوسطية في التوجيه .

فمرة حكت رضي الله عنها امرأة عند النبي ﷺ ذكرت قصرها- ، فقال ﷺ : **(قد اغتبتيها).**[1]

ومرة ذهبت تحكي[2] أحدا ، فقال ﷺ لها : **(ما أحب أن حكيت أحدا وأن لي كذا وكذا ، أعظم ذلك) .**[3]

ودخل ناس من اليهود على رسول الله ﷺ فقالوا : السام عليكم - يعني الموت- ، فقال : وعليكم . فقالت عائشة : عليكم لعنة الله ، ولعنة اللاعنين .

---

(١) مسند أحمد (٢٥٠٩٣) وصححه الأرنؤوط.

(٢) حكيتُ فلانا وحاكيته : شابهته وفعلت فعله أو قوله سواء. (القاموس المحيط ١/ ١٦٤٦).

(٣) مسند أحمد (٢٥٠٠٨) وصححه الأرنؤوط.



فقالوا : ما كان أبوك فحّاشا . فلما خرجوا قال لها ﷺ : **(ما حملك على ما صنعت)**؟ قالت : ألم تسمع ما قالوا ؟ فقال : **(فما رأيتني قلت عليكم؟ إنه يصيبهم ما أقول لهم ، ولا يصيبني ما قالوا لي)** .[1]

●●●

(١) مسند أحمد (٢٥٠٠٨) وصححه الأرنؤوط.





عُرفت أمنا عائشة رضي الله عنها بسعة العلم وجودته ، وحفظ الحديث وروايته ، فكانت بذلك جامعة علمية عريقة للأمة ، لا ينكر فضلها إلا مكابر .

ولا عجب أن تكون بهذه المنزلة العلمية الرفيعة وهي التي ولدت في الإسلام ، وسمعت القرآن منذ نعومة أظفارها حيث تقول رضي الله عنها :(لقد نزل بمكة على محمد ﷺ وإني لجارية ألعب ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾ ، وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده) .[١]

ثم لما قرنها الله بالنبي ﷺ ؛ كانت تشهد نزول الوحي على رسول الله ، كما قال ﷺ :(والله ما نزل علي الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها) .[٢]

ولرجاحة عقلها ، وتوقّد ذهنها ؛ ما كانت لتكتفي بسماع الوحي والقرآن ، بل كانت تبادر النبي ﷺ بالسؤال عن معاني القرآن وفهم الآيات في العقائد والأحكام ، كما قال ابن أبي مليكة :(كانت لا تسمع شيئا لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه) .[٣]

(١) رواه البخاري (٤٩٩٣).
(٢) سبق تخريجه.
(٣) رواه البخاري (١٠٣).



وهكذا كل تلميذ متميز ناجح تجده يكثر السؤال ، لأن السؤال من خير وسائل تحصيل العلم وأخصرها ، كما يُذكر عن ابن عباس أنه قال لما سئل عن علمه وكيف حصّله ، قال رضي الله عنه :(بقلب عقول ولسان سؤول) .

وحين نسرد مسندها ؛ **نجد عشرات** الأحاديث المروية والأحكام المنقولة ، والتي كانت جوابا لأسئلة سألتها النبي ﷺ وروتها لنا ، فمن ذلك :

- لما قال ﷺ : **(من نوقش الحساب عذب)** . قالت رضي الله عنها : أوليس يقول الله تعالى : ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾؟ فقال ﷺ : **(إنما ذلك العرض ، ولكن من نوقش الحساب يَهْلِك)** .[1]

- وسألته ﷺ يوما :إن صبيا للأنصار لم يبلغ السن (يعني توفي دون البلوغ) عصفور من عصافير الجنة؟ فقال ﷺ : **(أو غير ذلك يا عائشة ، خلق الله الجنة وخلق لها أهلا ، وخلق النار وخلق لها أهلا ؛ وهم في أصلاب آبائهم)** .[2]

- وقالت : يا رسول الله ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ هو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر وهو يخاف الله عز وجل؟ قال ﷺ :**(لا يا بنت أبي بكر ، يا بنت الصديق ، ولكنه الذي يصلي ويصوم ويتصدق وهو يخاف الله عز وجل)** .[3]

---

(١) متفق عليه : البخاري (١٠٣) ، ومسلم (٧٤٠٦).
(٢) مسند أحمد (٢٤٠١٤) وهو عند مسلم (٢٦٦٠).
(٣) مسند أحمد (٢٥٣٠٢) ، وهو في الترمذي (٣١٧٥) وصححه الألباني.



❁ وتقول : سألت رسول الله ﷺ عن الالتفات في الصلاة ، فقال ﷺ : **(هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد)** .[١]

❁ وسيأتي معنا سؤالها : هل على النساء جهاد؟ وجوابه ﷺ : **(عليهن جهاد لا قتال فيه : الحج والعمرة)** .

ولها من السؤالات المروية في كتب الحديث الشيء الكثير ، وقد حَرَّكْتُ بحثا متواضعا في ذلك فتحصل لديّ أكثر من ثمانين سؤالا في الشريعة سألته النبي ﷺ[٢].

مهارة زوجية ٢٩

وجدير بمهارة السؤال أن تشعر الطرف الآخر بأهميته وقيمته العلمية، كما تبعث إعجاب المسؤول بالسائل حينا يراه حريصا على الثقافة والعلم، مما يُوَلِّدُ زيادةً في الاحترام والتقدير، ألا فليسأل كلٌ من الزوجين شريك حياته فيما يحسنه ويعلمه ، ولينصت إليه ببراعة ، وليناقشه بأدب ، وهذا من أرقى أنواع الحوار بين الزوجين.

●●●

(١) رواه البخاري (٧٥١).

(٢) وكانت في أبواب متنوعة كالعقيدة والتفسير والطهارة والصلاة والحج والطب والنكاح والسير والجهاد والآداب والحقوق والرضاعة والإيلاء والتاريخ وغير ذلك، وقد شرعت في تخريجها واختصار كلام أهل العلم عليها في مجلد ، أسأل الله الإعانة على إتمامه.





عائشة
رضي الله عنها
حادثة الإفك
دروس وعبر

أعظم حدث مرّ في حياتها

حادِثَةُ الإفْكِ . . دُرُوسٌ وَعِبَرٌ

لكل داع إلى الخير أعداء يصدون الناس عنه ، وينفرونهم منه ، ويهزؤون بما يدعوهم إليه ، ولو أدى كيدهم هذا إلى الطعن في عرضه وشرفه ، وإشاعة ما ليس فيه ، وزعزعة بيته الهانئ المستقر .

ولقد حرص المنافقون في كل زمان على الطعن في الرموز ، لعلمهم أن هذا الدين القويم إنما يقوم على القدوات الحسنة ، والأسوات الطيبة ، والمثال المبارك ، والأنموذج الأمثل . .فإن هم أسقطوا الرموز ؛ سقط الدين وما يدعون إليه !

ومن هنا كان لابد لزوجة الداعية وأهله المقربين إليه أن يُهيئوا أنفسهم لمثل هذا الأمر ، إذ الطعن فيهم طعن فيه ، والطعن فيه طعن فيهم .

ولقد أشاع المنافقون الأفاكون إشاعة عن أمنا عائشة ؛ هَزَّت البيت النبوي شهرا كاملا ، وعصفت بالمدينة النبوية بأسرها ، بل واضطرب المجتمع المسلم بكامله لأجلها ، فعَزَّت الابتسامة فيهم[1]، وتعطَّلت التنمية فيه ، وانشغل الناس بهذا الحدث الجلل ، والمصاب العظيم .

لقد اتُّهِمت الطيبة رضي الله عنها بنت الطيب رضي الله عنه وزوجة الطيب ﷺ بالزنا !! وما أبشعها من تهمة للشريفات ، فكيف بزوجة أشرف الخلق ﷺ وحبيبته ؟ !

(١) عَزَّ الشيء فهو عَزيزٌ : إذا قل فلا يكاد يوجد. (مختار الصحاح ٤٦٧).



بدأت هذه الحادثة[١] عند عودة النبي ﷺ وأصحابه من إحدى الغزوات ، وكان من هديه إذا أراد سفرا أو غزوا أن يُقْرِعَ[٢] بين نسائه ، فأيهن خرجت قرعتها أخذها معه ، وهذا من كمال عدله.[٣]

فكانت رضي الله عنها تُحمل في الهودج ، وهو الصندوق الذي يوضع على ظهر البعير ، فتدخل فيه وتستتر عن أعين الناس ، وإذا وقفوا أو نزلوا أنزلوه على الأرض وهي فيه .

فلما رجعوا وقَرُبوا من المدينة النبوية ، نزلوا في مكان يستريحون فيه ، فلما استعدوا للرحيل ومواصلة السير ؛ حضرت أمّنا حاجتها ، فانطلقت بعيدا عن أعين الناس حتى تقضي حاجتها وتعود .

فلما قضت ما بها وهمت بالرجوع إلى موضع القوم ، تحسست عِقْداً لها فإذا هو قد انقطع وانسل وتساقط على الأرض ، فانشغلت رضي الله عنها بالبحث عن أجزائه وجمعه ولملمته في ظلمة الليل الحالك التي يصعب معها إنجاز هذه المهمة بسرعة ويُسْر ، فلما رجعت ؛ فإذا بالبقعة التي استراحوا فيها خالية ،

(١) أخرجها البخاري كاملة مطولة (٤٧٥٠) ، وقد اختصرت منها هنا وكتبتها بأسلوب قصصي لتسهل قراءتها واستيعابها على القارئ.

(٢) من القرعة.

(٣) هذا وقد نالت عائشة رضي الله عنها شرف صحبة النبي ﷺ في عدد من أسفاره، كما ثبت في أحاديث كثيرة، منها: صحبته في هذه الغزوة (غزوة بني المصطلق) والتي وقع في نهايتها حادثة الإفك، ومنها السفر الذي حدث فيه قصة ركوب حفصة بعير عائشة وقد ذكرْتُه في مبحث الغيرة، ومنها السفر الذي سابقت فيه رسول الله وذكرته أيضا، وفي المسند ما يفيد أنها كانت معه في سفر الحديبية، وأما في حجة الوداع فمعظم أمهات المؤمنين كن معه ﷺ ومنهن عائشة رضي الله عنها. (وانظر الدر الثمين ص٧٠ – ٧١).



ولا وجود لداع يتفقَّدُها ، ولا مُجيب تناديه فيجيبها ، إذ القوم قد رحلوا وحملوا هودجها على بعيرها وانطلقوا ظَنًّا منهم أنها بداخله ، وقد كانت صغيرة السن ، خفيفة الوزن ، فحملوه ولم يشعروا أنها ليست بداخله !

هنا ظهرت فطنتها ، وبرزت نباهتها ، وسَجَّلَ التاريخ حُسن تصرفها رغم صغر سنها ، حيث جلست في مكانها الذي جلست فيه لما نزلوا واستراحوا ، حتى إذا شعروا بفقدها رجعوا إليه ووجدوها فيه .

تأمل قارئي :

صحراء قاحلة . . والجو حار . . والظلمة شديدة . .

لا أخ ولا صاحبة . . إنما هو الرمال والرياح والدواب والهوام . .

تائهة في وسط الصحراء ، ولا تدري أيرجعون أم لا ؟ !

في ظل هذه الظروف الصعبة ، وتحت وَقْعِ هذه الفترة الحرجة : حفظ الله أُمَّنا وأَمَّنَها ، **فألقى عليها النعاس حتى غلبتها عينها ونامت .**

وبينما هي نائمة . . وإذا بأحد الصحابة – وهو صفوان بن المعطل وقد كان من وراء الجيش – يمر عليها فيرى سوادا ، فيقترب ، **فإذا هي أمنا عائشة نائمة** يرعاها مولاها جل وعلا ، وقد عرفها لأن الصحابة كانوا يرون نساء النبي ﷺ قبل نزول الحجاب ، **فأخذ يسترجع فيقول : (إنا لله وإنا إليه راجعون) ، لتنتبه له ، فاستيقظت على صوته وخمرت وجهها بجلبابها .**



تقول رضي الله عنها مبينة أدبه وأدبها : **(والله ما كلمني كلمة ، ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه)** .

فحملها ﷺ على بعيره ، وانطلق على قدميه يقوده حتى أدرك الجيش بعدما نزلوا في آخر الظهيرة .

في هذه اللحظة ، وبَدَلَ أن يُحمد الله على سلامة أم المؤمنين ورجوعها ، نظر الناس إلى صفوان وعائشة وقد تأخرا عن القوم ، **فانتهز من في قلبه مرضٌ الفرصة لنشر الإشاعة وبث الاتهام وزعزعة القوم ، فشككوا في تأخرهما بأن بينهما شيء** ، حتى قال رأس المنافقين عبدالله بن أبي بن سلول – لعائن الله المتتابعة عليه – كلمته الخبيثة : **(والله ما قدما حتى فَجَرَ بها ، وفَجَرَت به) ! ! ! عياذا بالله من مقالة السوء وظن السوء !**

وبدأ بعض الناس يلوك في عرض الشريفة الطاهرة ، ويبدو أن أمنا لصغر سنها ونومها في الصحراء بدون هودج من جراء تلك الحادثة ، قد تأثر جسدها بذلك ، فعادت إلى المدينة وهي مريضة مرضا شديدا حتى أن مرضها استمر معها شهرا ، وقد مضى ذلك الشهر بأكمله وبعض الناس يردد مقالة الإفك هذه ، وهي لم تشعر بشيء من ذلك ولم تسمع به . .

وبلغ الخبر النبي ﷺ ، فما ظنك بشعوره وحالته عندما يُطْعَنُ في أحب زوجاته إليه ؟!

لقد تأثر ﷺ تأثراً بالغا واضطرب فكره ومزاجه من هول ما يتحدث به بعض



الماس ، حتى بدأت تتغير معاملته في بيته ، تقول أُمُّنا : (وهو يُريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللُّطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي ، إنما يدخل علي رسول الله ﷺ فيُسَلِّم ثم يقول : كيف تيكم؟ ثم ينصرف ، فذاك الذي يريبني) .

فكيف عَلِمَتْ أمنا بخبر الإفك؟ وما ردة فعلها رضي الله عنها؟

في أثناء تلك الحادثة الآثمة ، وبعد مرور شهر ، خرجت رضي الله عنها مع امرأة يقال لها أم مسطح لحاجة يقضيانها ، وبينما هما تمشيان إذ عثرت أم مسطح في ثوبها فقالت : تعس مِسْطَح ! فقالت عائشة : بئس ما قلت ، أتسُبِّين رجلا شهد بدرا . قالت : أي هنتاه ، أولم تسمعي ما قال . قالت : وما قال؟ فأخبرتها بقول أهل الإفك[1] ، فنزل على أسماعها كالصاعقة حتى ازدادت مرضا على مرض ، ثم رجعت إلى بيتها تستأذن رسول الله أن تذهب لأبويها ، تريد أن تستيقن الخبر منهما ، فأذن لها .

قالت رضي الله عنها لأمها : (يا أمتاه ، ما يتحدث الناس؟ فقالت : يا بنية هوني عليك ، فوالله قلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر ؛ إلا كثرن عليها . فقالت : سبحان الله ، ولقد تحدث الناس بهذا) ! ! فبكت رضي الله عنها

(١) وكان مسطح صحابيا، وكان أبو بكر ينفق عليه، وقد أخطأ رضي الله عنه – أي مسطح – حينما ردد المقالة التي تداولها بعض السفلة من المنافقين، على غرار ما يفعل بعض الناس اليوم، حيث تجدهم يكثرون من قول : (يقال أنَّ كذا وكذا) (أما سمعتم الخبر الـ...) وهكذا دون تثبت ولا وعي بخطر ذلك وإثمه وعظمه، لاسيما فيما يتعلق بالأعراض، فكيف بعرض المصطفى ﷺ ؟!



حتى أصبحت لا يتوقف دمعها ولا تستطيع النوم ! !

وإلى هذه اللحظة لم يفاتح النبي ﷺ عائشة بالموضوع ، ولم تفاتحه هي ، وإنما استشار ﷺ بعض الصحابة في الأمر ، فأثنوا على عائشة بما يعلمون ، ثم قام ﷺ خطيبا في الناس ، فقال : (يا معشر المسلمين ، من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي ، فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرا ، ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا ، وما كان يدخل على أهلي إلا معي) يعني صفوان بن المعطل .

تقول رضي الله عنها :(مكثت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ، فأصبح أبواي عندي ، وقد بكيت ليلتين ويوما يظنان أن البكاء فالق كبدي ، فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي ، فاستأذنت علي امرأة من الأنصار ، فأذنت لها ، فجلست تبكي معي .

فبينما نحن على ذلك . . دخل علينا رسول الله ﷺ فسلم ثم جلس – ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها ، وقد لبث شهرا لا يوحى إليه في شأني ! – ، فَتَشَهَّد ﷺ حين جلس ثم قال :(أما بعد يا عائشة ، فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا ، فإن كنت بريئة ، فسيبرئك الله ، وإن كنت ألممت بذنب ، فاستغفري الله ، وتوبي إليه ، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب ، تاب الله عليه) .

تقول :(فلما قضى مقالته ، قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة ، فقلت لأبي : أجب رسول الله فيما قال ، قال : والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ .



فقلت لأمي : أجيبي رسول الله ﷺ ، قالت : ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ ، فقلت وأنا يومئذ حديثة السن لا أقرأ كثيرا من القرآن : إني والله لقد علمت ، لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم ، وصدقتم به[1] ، فلئن قلت لكم : إني بريئة - والله يعلم أني بريئة - لا تصدقوني بذلك ، ولئن اعترفت لكم بأمر ، والله يعلم أني بريئة ، لتصدقني .

والله ما أجد لي ولكم مثلا إلا قول أبي يوسف : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ .

ثم تحولتُ فاضطجعتُ على فراشي ، وأنا أعلم أني بريئة ، وأن الله تعالى يُبرئني ببراءتي ؛ ولكن والله ما ظننت أن الله ينزل في شأني وَحْياً يُتلى ، ولَشَأْني كان في نفسي أحقر من أن يتكلم اللهُ فِيَّ بأمر يتلى ، ولكن كنت

(١) ولقد كان لأكثر الصحابة { موقفا صحيحا حينما سكتوا ولم يتكلموا ، منتظرين الوحي يَفْصِلُ بالموضوع، كما سجلت كتب السيرة والحديث مواقف رائعة في مثل هذه الحادثة :

- فهذا أبو أيوب الأنصاري، قالت له امرأته: يا أبا أيوب ألا تسمع ما يقول الناس في عائشة؟ قال: بلى، وذلك الكذب! أكنت يا أم أيوب فاعلة؟ قالت: لا والله ما كنت لأفعله. قال: فعائشة خير منكِ. (السيرة لابن هشام ٤/ ٢٦ - تاريخ الطبري ٢/ ١١٤).
- وسأل رسول الله ﷺ بريرة قال : هل رأيت شيئا يريبك؟ قالت : والذي بعثك بالحق ما رأيت عليها أمرا قط أغمصه غير أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله). (صحيح البخاري ٤١٤١). ومما قالته :(أحمي سمعي وبصري ، والله لعائشة أطيب من طيب الذهب).(تفسير الطبري ١٨/ ٩٥ ، شعب الإيمان ٥/ ٣٨٥).
- وسأل ﷺ أم المؤمنين زينب بنت جحش فقالت: يا رسول الله أحمي سمعي وبصري والله ما علمت عليها إلا خيرا). صحيح البخاري (٢٦٦٢).
- وسأل أسامة فقال : أهلك ولا نعلم إلا خيرا. صحيح البخاري (٢٦٣٧).



أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها .

قالت : فوالله ما قام رسول الله ﷺ ، ولا خرج أحد من أهل البيت ، حتى نزل عليه الوحي ؛ فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء ، حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق ، وهو في يوم شاتٍ ، من ثقل القول الذي ينزل عليه .

فلما سري عنه وهو يضحك ، كان أول كلمة تكلم بها : « **يا عائشة ، أما والله لقد برأك الله** » فقالت أمي : قومي إليه .

فقلت : والله لا أقوم إليه ، ولا أحمد إلا الله .

وأنزل الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ﴾ (النور: ١١) العشر الآيات كلها .

وبهذا انتهت قصة الإفك بصك براءة من الله لها، وحسبك بها من براءة تفوق كل براءة!



وللفائدة فإني أنقل هذه العشر آيات مفسرة تفسيراً ميسرا من كتاب (التفسير الميسر) [١] :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ إن الذين جاؤوا بأشنع الكذب ، وهو اتهام أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالفاحشة ، جماعة منتسبون إليكم - معشر المسلمين- لا تحسبوا قولهم شرًّا لكم ، بل هو خير لكم ، لما تضمن ذلك مِن تبرئة أم المؤمنين ونزاهتها والتنويه بذكرها ، ورفع الدرجات ، وتكفير السيئات ، وتمحيص المؤمنين . لكل فرد تكلم بالإفك جزاء فعله من الذنب ، والذي تحمَّل معظمه ، وهو عبد الله بن أُبيٍّ ابن سلول كبير المنافقين- لعنه الله- له عذاب عظيم في الآخرة ، وهو الخلود في الدرك الأسفل من النار ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴾ هلا ظن المؤمنون والمؤمنات بعضهم ببعض خيرًا عند سماعهم ذلك الإفك ، وهو السلامة مما رموا به ، وقالوا : هذا كذب ظاهر على عائشة رضي الله عنها ﴿ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾ هلا أتى القاذفون بأربعة شهود عدول على قولهم ، فحين لم يفعلوا ذلك فأولئك هم الكاذبون عند الله . ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ

(١) تأليف عدد من أساتذة التفسير بإشراف معالي الشيخ الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي ، من مطبوعات مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف جزاهم الله خيراً.



﴿ أَفَضۡتُمۡ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ولولا فَضْلُ الله عليكم ورحمته لكم بحيث شملكم إحسانه في دينكم ودنياكم فلم يعجِّل عقوبتكم ، وتاب على مَن تاب منكم ، لأصابكم بسبب ما خضتم فيه عذاب عظيم ﴿ إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَاهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٌ وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ حين تتلقفون الإفك وتتناقلونه بأفواهكم ، وهو قول باطل ، وليس عندكم به علم ، وهما محظوران : التكلم بالباطل ، والقول بلا علم ، وتظنون ذلك شيئًا هيِّنًا ، وهو عند الله عظيم . وفي هذا زجر بليغ عن التهاون في إشاعة الباطل ﴿ وَلَوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ قُلۡتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴾ وهلا قلتم عند سماعكم إياه : ما يَحِلُّ لنا الكلام بهذا الكذب ، تنزيهًا لك – يارب – مِن قول ذلك على زوجة رسولك محمد صلى الله عليه وسلم ، فهو كذب عظيم في الوزر واستحقاق الذنب .﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثۡلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ يذكِّركم الله وينهاكم أن تعودوا أبدًا لمثل هذا الفعل من الاتهام الكاذب ، إن كنتم مؤمنين به.﴿ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ ويبين الله لكم الآيات المشتملة على الأحكام الشرعية والمواعظ ، والله عليم بأفعالكم ، حكيم في شرعه وتدبيره ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ إن الذين يحبون شيوع الفاحشة في المسلمين من قَذْف بالزنى أو أي قول سيِّئ لهم عذاب أليم في الدنيا بإقامة الحد عليهم ، وغيره من البلايا الدنيوية ، ولهم في الآخرة عذاب النار إن لم يتوبوا ، والله – وحده – يعلم كذبهم ، ويعلم مصالح عباده ،



وعواقب الأمور ، وأنتم لا تعلمون ذلك . ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ ولولا فَضْلُ الله على مَن وقع في حديث الإفك ورحمته بهم ، وأن الله يرحم عباده المؤمنين رحمة واسعة في عاجلهم وآجلهم ، لما بيَّن هذه الأحكام والمواعظ ، ولَعاجل مَن خالف أمره بالعقوبة .

وإليكم جملة من الدروس المستفادة من هذه الحادثة ، والتي استنبطها أهل العلم من خلال مجرياتها وما أنزل الله فيها :

(١) خطر الإشاعة على المجتمع المسلم ، ووجوب التثبت في نقل الأخبار خصوصا ما يتعلق بأعراض المسلمين ، ﴿ وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم﴾ .

(٢) عظم خطر المنافقين على الأمة الإسلامية وتربصهم بها ، ﴿ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ .

(٣) طهارة أم المؤمنين مما اتهمت به وبراءتها منه ، وقد أجمع العلماء على كفر وردة من قذف عائشة بالزنى بعد أن برأها الله منه ، لكونه تكذيب لله ولصريح قرآنه . ﴿ والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات﴾ .[١]

(١) هذا وقد كنت أفردت فصلا بعنوان (أحكام فقهية وقضائية في سب عائشة رضي الله عنها أو الطعن بها أو اتهامها بما برأها الله منه) ثم رأيت حذفه، والاكتفاء بذكر المراجع العلمية في ذلك فمنها : المحلى لابن حزم (١١/ ٤١٥)، أحكام القرآن لابن العربي (٦/ ٣٧)، الصارم المسلول على شاتم الرسول (٦/ ٥٧-٥٩) ، زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ١٠٢) بالإضافة إلى كتب العقائد كلمعة الاعتقاد وغيرها.



(٤) شرف أم المؤمنين حيث تولى الله الدفاع عنها وتبرأتها بنفسه ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ ﴾ ، مما لم يفعله مع الأنبياء والأولياء الذين اتهموا بالزنى كنبي الله يوسف ، ومريم بنت عمران .[١]

(٥) وجوب إحسان الظن – لاسيما بين الزوجين – حيث لم يعجل النبي ﷺ بالحكم ﴿ لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ ﴾ .

(٦) اشتمال الشر – إذا وقع – على كثير من الخير ، سواء ظهر في حينه أو فيما بعد . ﴿ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ .

(٧) الوعيد الشديد والعذاب الأكيد لِمَنْ أحب شيوع الفاحشة وساهم في نشرها بين الناس .﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ﴾ .

(١) فبراءة مريم كانت بإنطاق عيسى، وبراءة يوسف كانت بلسان الشاهد ثم باعتراف زوجة الملك بعد سنين. وانظر كلام الزمخشري الآتي (ص ١٦٧ – ١٦٨).





مهارة زوجية ٣٠

هذا وقد تجلت العديد من المهارات الزوجية في هذه الحادثة العظيمة، ومن أعظمها - في نظري - : إحسان الظن بشريك الحياة ، وألا يُلْتَفت لكل كلام يقال فيه ، وكل إشاعة تبث عنه ، ولو كثر تداولها واستمر نشرها .








عائشة
رضي الله عنها
موت الحبيب ﷺ
وكيف قضت حياتها بعده؟



عائشة ولحوقه ﷺ بالرفيق الأعلى

إن من أعظم المصائب على البشرية ؛ موت خير أنبياء الله ورسله محمد ﷺ ، فلقد أظلمت السموات والأرض يوم لحوقه بالرفيق الأعلى ، وهو الذي أنار الأرض بأنوار التوحيد والسنة ومكارم الأخلاق صلوات الله وسلامه عليه .

ولئن كان موته مصيبة لكل أحد ، فإنه على أمهات المؤمنين أعظم وأشد ، فكيف بحبيبته عائشة التي كانت أحب الناس إليه؟ كيف بها وهي تراه طريح الفراش في مرض موته . . يوجع ويتألم ، ويكاد يجيب رسول ربه؟ فكيف سيطيب عيشها بعده؟

سيرحل عنها ! ذلك الصدر الحنون . . صاحب الكلام اللطيف والمعاملة الحسنة . .

قريبا ستودع ! من كان لا يتمالك إخفاء حبه لها . .

لحظات قليلة ! وتصعد روح من كانت تجالسه ويجالسها . . وتضاحكه ويضاحكها . .

وتتحدث إليه ويتحدث إليها . . وتسابقه ويسابقها . . وتقبله ويقبلها . .

وكأني بأمنا تحدث نفسها وهي تنظر إليه في تلك اللحظات المؤلمة وتقول :

ليت روحي لك يا رسول الله فداء ! بل ليت موتك وموتي في وقت سواء !



ويشاء الله أن يقبض حبيبه وصفيه بعد أن بلغ الرسالة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده ، وكانت من آخر وصاياه ﷺ الوصية بالصلاة وبما ملكت اليمين ، وبإخراج المشركين من جزيرة العرب ، **وبالنساء خيرا** .

وبدأت رحلة الاحتضار !

فإذا بأمنا عائشة تسنده إليها ، وبين يديه إناء فيه ماء ، فجعل يدخل يده في الماء فيمسح وجهه ويقول ﷺ : (لا إله إلا الله إن للموت سكرات) .

ثم رفع أصبعه وشخص بصره نحو السقف وتحركت شفتاه ، وأمنا تصغي إليه وهو يتمتم ، فإذا به يختم أنفاسه العطرة وحياته الزكية بقوله ﷺ : **(مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، اللهم اغفر لي وارحمني ، وألحقني بالرفيق الأعلى . اللهم الرفيق الأعلى ، اللهم الرفيق الأعلى)** ، **ثم توقف قلبه . . ومالت يده . . وفاضت روحه . . وسكنت جوارحه . . ولحق بربه . . بعد حياة رائعة موفقة ، أنجز فيها المهمة . . وأرشد فيها الأمة . . وإنا لله وإنا إليه راجعون .**[١]

وسقط دمع عائشة !

واهتز قلب حبيبته !

وضاقت عليها الأرض بما رحبت !

(١) طالع مبحث (طلائع التوديع) من كتاب : الرحيق المختوم (ص٤٦٦).





وداعا يامن كنتَ تلهج[١] بحبي !

وداعا يامن كنتُ أغار عليه من نفسي !

وداعا يامن لم أسمع منه إلا الطيب ولم أر منه إلا الحسن !

وهكذا كتب الله الموت على نبيه وأمضاه ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ ، **ولولا قول الله : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ وأن في البعث اجتماعاً به مرة أخرى ولقاء به إلى أبد لا أمد ، لذاب قلب أمنا عائشة كمدا وحزنا ، ولذابت قلوبنا معها . .**

ولعل الله خفف عنها مصابها بما شرفها به حتى في هذه اللحظات . . فلم يكتف ربنا أن يخصها بتلك المزايا والتفضيل في حياته فقط ، بل حتى في يوم وفاته .

ابتداء من استئذانه ﷺ في مرض موته أن يُمَرَّض ببيت عائشة[٢] ، فرضخ جميع أمهات المؤمنين لذلك ، لعلمهن بقدر محبة النبي ﷺ وراحته النفسية معها . .

ثم جمع الله ريقها بريقه الشريف ، وكان هذا آخر ما دخل جوفه ﷺ ، وذلك حين دخل أخوها عبد الرحمن وهي مسندته ﷺ إلى صدرها ، ومع عبدالرحمن سواك رطب يستن به ، فأَبَّده رسول الله ومد إليه بصره كالراغب فيه ، ففطنت عائشة رضي الله عنها له وفهمت مراده وأنه يحب السواك ، - وهكذا

(١) اللهج : يقال لهج إذا ولع بالشيء وأغري به واعتاده. (لسان العرب ٢/ ٣٥٩).

(٢) صحيح البخاري (٥٢١٧).



الأزواج ، متى ما تجذرت المحبة في قلوبهم ؛ فَهِمَ كلٌّ منهم ما يدور في خَلَدِ صاحبه وإن لم يتكلم به- فقالت : آخذه لك؟ فأشار برأسه : أن نعم . فأخذت السواك من أخيها ، وقصت رأسه فنقضت له رأسا جديدا ونظفته وطيبته ، ومضغته بأسنانها تلينه ، ثم ناولته النبيﷺ فاستاك به ، بل قالت : ما رأيت رسول الله استن استنانا أحسن منه .[١] وكانت تقول : الحمدلله الذي جمع بين ريقي وريقه في آخر يوم من الدنيا .[٢]

ثم شرف ثالث : أن يموت ﷺ ورأسه على صدرها وفي حجرها ، حتى كانت تقول رضي الله عنها : مات بين حاقنتي وذاقنتي .[٣]

وشرف رابع : أن مات في بيتها وحجرتها[٤]..

وشرف خامس : أن الأنبياء يدفنون حيث يموتون[٥] ، فدفن ﷺ في بيتها في المدينة النبوية ، فصار كل زائرٍ له في قبره ؛ زائراً لبيتها رضي الله عنها وأرضاها .

وشرف سادس : أن حياتهما الزوجية لم تنته ، بل هي كما كان يقول له جبريل ويبشرها صلى الله عليه وسلم : **(أنت زوجتي في الدنيا والآخرة)** .[٦]

---

(١) رواه البخاري (٤٤٣٨).
(٢) مسند أحمد (٢٤٢٦٢) وصحح اسناده الأرنؤوط.
(٣) رواه البخاري (٤٤٣٨).
(٤) صحيح البخاري (٣١٠٠).
(٥) مسند أحمد (٢٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٢٠١).
(٦) سبق تخريجه.





لقد مات ﷺ ولها من العمر ثمان عشرة سنة [1]، ولم يكن تأثرها كتأثر بقية الصحابة حين مات قائدهم ونبيهم ، وإنما زاد من تأثرها كونه زوجها ، وكونها أحب الناس إليه ، إلا أنه قضاء الله وقدره ، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا .

●●●

(١) متفق عليه : البخاري (٥١٣٤) ، مسلم (٣٥٤٧).







كيف قضت بقية حياتها بعده ﷺ ؟

عاشت بعده ﷺ ثمان وأربعين سنة ، **أحاطها فيها تقدير الناس واحترامهم لها لمكانتها من رسول الله** ﷺ ، حتى أن عمر رضي الله عنه فرض في خلافته لأمهات المؤمنين عشرة آلاف ، وزاد عائشة ألفين ، فكان إذا كُلِّمَ في ذلك قال : **إنها حبيبة رسول الله ﷺ.**[١]

لقد قضت حياتها كلها بعد رسول الله ﷺ في تعليم الناس العلم وإفتائهم فيما يحتاجون إليه ، وفي العبادة والقربة إلى الله جل وعلا .

ولقد كانت عجبا عجابا في العلم والفصاحة ! وأنموذجا نسائيا رائعا في القربة والعبادة :

فأما عن عبادتها وتقواها

فقد عُرِفَ عنها رضي الله عنها أنها صوامةٌ قوامةٌ مُنْفِقَةٌ وَرِعَةٌ . . .

وما ظنك بها وهي التي لما سمعت فضل الجهاد والمجاهدين – وهو من أشق العبادات وأصعبها وأفضل الأعمال وأعظمها – بادرت النبي ﷺ بالسؤال : هل على النساء جهاد؟ فيجيبها : (نعم عليهن جهاد لا قتال فيه : الحج والعمرة) .[٢]

---

(١) الطبقات (٩٩٥٨).

(٢) رواه ابن ماجه (٢٩٠١) وأحمد (٢٥٣٦١) ، وأصله في البخاري (١٨٦١).



وأما عن صلاتها وتلاوتها

فيقول ابن أخيها القاسم بن محمد : (كنت إذا غدوت أبدأ ببيت عائشة رضي الله عنها فأسلم عليها ، فغدوت يوما فإذا هي **قائمة تسبح**[١] **وتقرأ قوله تعالى** ﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴾ **وتدعو وتبكي وترددها** ، فقمت حتى مللت القيام ، فذهبت إلى السوق لحاجتي **ثم رجعت فإذا هي قائمة كما هي تصلي وتبكي**) .[٢]

وكانت تصلي صلاة الضحى ثماني ركعات مواظبة على فعلها منذ رأت النبي ﷺ يصليها :

فعن رميثة ، قالت : أصبحت عند عائشة فلما أصبحنا قامت فاغتسلت ، ثم دخلت بيتا لها فأجافت الباب ، قلت : يا أم المؤمنين ، ما أصبحت عندك إلا لهذه الساعة ، قالت : فادخلي ، قالت : فدخلت ، فقامت فصلت ثماني ركعات ، لا أدري أقيامهن أطول أم ركوعهن أم سجودهن ؟ ثم التفتت إلي فضربت فخذي ، فقالت : يا رميثة رأيت رسول الله ﷺ يصليها ، ولو نشر لي أبواي على تركها ما تركتها .[٣]

---

(١) أي : تصلي صلاة الضحى.

(٢) ذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (٢/ ٣١)، وفي الحلية (٢/ ٤٨) أنها كانت تدعو إذا قرأتها (مُنَّ عَليَّ وقني عذاب السموم).

(٣) السنن الكبرى للنسائي (٤٨٤) ، وموطأ مالك (٣٥٨) ، ومسند أحمد (٢٥٠٧٨).



وكانت إذا قرأت قوله تعالى : ﴿وقرن في بيوتكن﴾ **تبكي . . حتى تبل خمارها** .[١]

وكان عبدها ذكوان **يؤمها في القيام من المصحف** .[٢]

بل كان الناس يعرفون عنها طول القيام في الصلاة ، يقول عبدالله بن أبي موسى : (أرسلني مدرك أو بن مدرك إلى عائشة أسألها عن أشياء ، قال : فإذا هي تصلي الضحى ، فقلتُ : أقعدُ حتى تفرغ . فقالوا : هيهات . . .) .[٣]

ولا عجب أن ترى منها كل هذا الخشوع والتدبر والتذلل والانكسار وطول القيام ، وهي التي كانت (تقوم مع رسول الله ﷺ ليلة التمام ، فكان يقرأ سورة البقرة وآل عمران والنساء ، فلا يمر بآية فيها تخوف إلا دعا الله عز وجل واستعاذ ، ولا يمر بآية فيها استبشار إلا دعا الله عز وجل ورغب إليه) .[٤]

وعن إنفاقها وسخائها

يقول الإمام الذهبي : (كانت أم المؤمنين من أكرم أهل زمانها ، ولها في السخاء أخبار) .[٥]

---

(١) حلية الأولياء (٢/ ٤٩).
(٢) صحيح البخاري (١/ ١٦٣).
(٣) مسند أحمد (٢٤٩٨٩) وصححه الأرنؤوط.
(٤) مسند أحمد (٢٤٦٥٣) وصححه الأرنؤوط.
(٥) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٧٣).



قلت : وكيف لا تكون كذلك وقد تربت في بيت أجود الناس ؛ المشبه في عطائه بأجود من الريح المرسلة .[١]

وقد سألها سائل مرة ، فأمرت الخادم فأخرج له شيئا ، فقال لها ﷺ : (يا عائشة لا تحصي فيحصي الله عليك) .[٢]

وخذ طرفا من تلك الأخبار التي تدل على أنها كانت لا تمسك شيئا جاءها من رزق الله إلا تصدقت به :

- تقول أم ذَرَّة – وكانت صاحبة لها – :(بُعِثَ إليها بمال أراه ثمانين أو مائة ألف ، فدعت بطبق ، وهي يومئذ صائمة ، فجلست تقسم بين الناس ، فأمست وما عندها من ذلك درهم واحد ، وكان فطورها في ذلك اليوم : خبز وزيت)!![٣]
- ويقول عروة :(لقد رأيت عائشة رضي الله عنها تقسم سبعين ألفا وإنها لترقع جيب درعها)!![٤]

ولم تكن تكتفي بإخراج صدقتها فحسب بل كانت تطيب الدراهم فيما يروى وتقول :(إن الصدقة لتقع في يد الله قبل أن تقع في يد السائل)[٥] فرضي

---

(١) متفق عليه : البخاري (٦) ، مسلم (٦١٤٩).
(٢) مسند أحمد (٢٤٤٦٣) وصحح إسناده الأرنؤوط.
(٣) الطبقات (٩٩٥٧) ، والحلية (٢/ ٤٧) قال الأرنؤوط في تحقيق سير أعلام النبلاء (٢/ ١٨٧) : ورجاله ثقات.
(٤) حلية الأولياء (٢/ ٤٧).
(٥) رواه أبو نعيم في الحلية (٤ / ٨١) من حديث فضالة بن عبيد.



الله عنها وأرضاها .

ولقد كان خلفاء المسلمين يبعثون لها الدراهم والعطايا فتنفقها على الفقراء والمساكين وتقسمها بين أمهات المؤمنين حتى لا تبقي لها شيئا :

- بعث لها معاوية رضي الله عنه **مائة ألف درهم في الصباح ، فما أمست حتى فرقتها ، ولم يبق لها منها شيء .**[1]
- ومرة بعث رضي الله عنه إليها **قلادة بمائة ألف ، فقسمتها بين أمهات المؤمنين .**[2]
- وبعث إليها ابن الزبير رضي الله عنه **مائة ألف ، فقسمته بين الناس .**[3]
- وباعت دارا لها **بمئة ألف ، ثم قسّمت الثمن .**[4]

وهذا الخُلق بل هذا الزهد لا يستغرب من مثلها ، وهي التي **كان يمر عليها في بيت رسول الله ﷺ ثلاثة أَهِلَّة في شهرين وما توقد في بيتهم النار** ، فلما سُئِلت : ما كان يعيشكم؟ قالت : الأسودان التمر والماء .[5]

وهي التي قال الله جل وعلا فيها وفي غيرها من أمهات المؤمنين :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ

(١) مستدرك الحاكم (٦٧٤٥) وسكت عنه الذهبي في التلخيص.
(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٨٧).
(٣) الطبقات (٩٩٥٧) ، والحلية (٢/ ٤٧) ورجاله ثقات.
(٤) الحلية (٢/ ٤٨) ، والسير (٢/ ١٩٨) وضعف الأرنؤوط إسناده.
(٥) متفق عليه : رواه البخاري (٢٥٦٧) ، مسلم (٧٦٤٢).



﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ۝٢٩﴾ [1] فاخترن رضي الله عنهن وأرضاهن : الله ورسوله والدار الآخرة ، فجمع الله لهن بعد ذلك بين خير الدنيا وسعادة الآخرة .

تقول رضي الله عنها : (جاءني رسول الله ﷺ حين أمره الله أن يخير أزواجه ، فبدأ بي فقال : (إني ذاكرٌ لكِ أمراً ، فلا عليك أن لا تستعجلي حتى تستأمري أبويك) ، وقد عَلِمَ أن أبويّ لم يكونا يأمراني بفراقه . قالت : ثم قال : (وإن الله قال : ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك . . .﴾ فقلت له : ففي أي هذا أستأمر أبوي؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة ، ففرح بذلك النبي ﷺ وضحك . قالت : ثم فعل أزواج النبي ﷺ مثل ما فعلت) . [2]

وهي التي كان النبي ﷺ يرسل لها من تزوج وهو حزين لم يجد ما يولم به ، فتعطيه المكتل فيه تسع آصع شعير ، وتقول : ولا والله إن أصبح لنا طعام غيره ، خذه ، فيأخذه ، كما في زواج ربيعة الأسلمي رضي الله عنه . [3]

وهي التي كانت تُذْبَحُ الشاة في بيتها ، فتتصدق بها كلها وتبقي الكتف لعلمها بمحبة النبي ﷺ له ، فيدخل عليها يسألها : ما بقي منها؟ فتقول : ما بقي منها إلا كتفها . فيقول ﷺ : (بقي كلها غير كتفها) ! [4]

---

(١) سورة الأحزاب ، آية : (٢٨-٢٩).
(٢) متفق عليه : البخاري (٤٧٨٥) ، مسلم (٣٧٥٤) ، وتفسير الطبري (٢٠/ ٢٥٤).
(٣) مسند أحمد (١٦٥٧٧) ، ومستدرك الحاكم (٢٧١٨).
(٤) رواه الترمذي (٢٤٧٠) وقال : صحيح.



وهي التي كانت تقول : **ما كان لإحدانا إلا ثوب واحد تحيض فيه ، فإذا أصابه شيء من دم قالت بريقها فقصعته بظفرها .**[(١)]

فأنا أشهد أنها حفظت وصية النبي ﷺ لها - إن صحت - حينما قال ﷺ لها : **(يا عائشة ، إن أردت اللحوق بي فليكفك من الدنيا كزاد الراكب ، وإياك ومجالسة الأغنياء ، ولا تستخلقي ثوبا حتى ترقعيه).**[(٢)]

حتى أنها كانت تقول : **(ما شبعت بعد النبي ﷺ من طعام إلا ولو شئت أن أبكي لبكيت ، ما شبع آل محمد ﷺ حتى قبض) .**[(٣)]

فنحن نشهد - بعد كل هذا العرض للآثار والأخبار - أنها حفظت وصية النبي ﷺ لها عندما سمعته ﷺ يدعو : (اللهم أحيني مسكينا وأمتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين يوم القيامة) **فسألته : ولم يا رسول الله؟ فقال ﷺ : (إنهم يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفا ، ثم قال موصيا ﷺ : يا عائشة ! لا تردي المسكين ولو بشق تمرة ، يا عائشة ! أحبي المساكين وقربيهم ، فإن الله يقربك يوم القيامة) .**[(٤)] فرضي الله عن أم المؤمنين وأرضاها.

---

(١) رواه البخاري (٣١٢).

(٢) الطبقات (١٠٠١٩) وفي المسند (٢٣٧٦٢) عن الحسن قال: لما احتضر سلمان بكى وقال : إن رسول الله ﷺ عهد إلينا عهدا فتركنا ما عهد إلينا : أن يكون بلغة أحدنا من الدنيا كزاد الراكب. قال: ثم نظرنا فيما ترك؛ فإذا قيمة ما ترك بضعة وعشرون درهما أو بضعة وثلاثون درهما. قال الأرنؤوط : حديث صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين إلا أنه مرسل.

(٣) حلية الأولياء (٢/ ٤٦).

(٤) سنن الترمذي (٢٣٥٢) وصحح الألباني أوله وضعف من أول قول عائشة: لم يا رسول الله ؟.



وأما صومها وصبرها

فيقول القاسم بن محمد : (**كانت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها تصوم حتى يذلقها الصوم**) أي يجهدها .[١]

لأنها كانت رضي الله عنها تصوم الدهر[٢] - أي السنة - ، فلا تدع الصيام إلا في الأيام التي يحرم صومها كالعيدين والتشريق ووقت الحيض .

بل ومن شدة حرصها على إكمال العبادة وتحصيل أجرها ، كانت ربما تصوم ويجهدها الصوم فتمتنع عن الفطر رغبة في الأجر . . دخل عليها أخوها عبدالرحمن مرة في يوم عرفة وهي صائمة والماء يرش عليها ، فقال لها : أفطري ، قالت : أفطر وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن صوم يوم عرفة يكفر العام الذي قبله .[٣]

وأما عن حجها وجهادها

فلما قال لها النبي صلى الله عليه وسلم : (**أحسن الجهاد وأجمله الحج ، حج مبرور**) ، قالت رضي الله عنها : **فلا أدع الحج بعد إذ سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم** .[٤] فكان عمر يأذن لأمهات المؤمنين في الحج ويبعث معهن عثمان بن عفان وعبدالرحمن بن عوف .[٥]

---

(١) حلية الأولياء (٢/ ٤٧).

(٢) الطبقات (٩٩٦٤).

(٣) مسند أحمد (٢٥٠١٤) وضعف إسناده الأرنؤوط للانقطاع.

(٤) مسند أحمد (٢٤٦٥٣) وصححه الأرنؤوط.

(٥) صحيح البخاري (١٨٦٠).



وإن سألت عن ورعها

فالجواب : كانت رضي الله عنها لا تسأل أحدا شيئا ، إلا ما أتاها من غير مسألة ، فقد بعث إليها عبدالله بن عامر مرة بنفقة وكسوة ، فقالت للرسول : إني يا بني ، لا أقبل من أحد شيئا ، فلما خرج قالت : ردوه علي ، فردوه ، فقالت : **إني ذكرت شيئا قاله لي رسول الله ﷺ قال : (يا عائشة ، من أعطاك عطاء بغير مسألة ، فاقبليه ، فإنما هو رزق عرضه الله لك)** .[1]

وإني محدثك عن حيائها

فقد كانت تدخل بيتها الذي دفن فيه النبي ﷺ وأبوبكر وتضع ثيابها ، وتقول : **إنما هو زوجي وأبي ، فلما دفن عمر بن الخطاب في حجرتها صارت تحتجب من القبر**[2] ، وتقول : **(والله ما دخلت إلا وأنا مشدودة علي ثيابي حياء من عمر)** .[3]

وأما عن إيثارها

فلا أعظم من أن تؤثر مكان قبرها بجانب خير أنبياء الله محمد ﷺ ، وخير رجال الأمة أبيها أبي بكر رضي الله عنه لعمر بن الخطاب ، فقد أرسل عمر في مرض موته ابنه عبدالله إليها قائلا : **(إن عمر يقرئك السلام ويستأذنك أن يدفن مع**

---

(١) مسند أحمد (٢٤٤٨٠) وصححه الأرنؤوط.

(٢) الإجابة للزركشي (ص٧٤).

(٣) مستدرك الحاكم (٤/ ٧) وصححه. وهو في مسند أحمد (٢٥٧٠١).



صاحبيه) فقالت : (لقد كنت أردته لنفسي ، ولأوثرنه اليوم على نفسي)[١]

فرضي الله عنها ما أكرم نفسها الشريفة !

ولم يكن لهذه المرأة التي جَمُلَ خَلْقُها وخُلُقُها إلا أن تتربع على عرش المحبة في قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل هذه الفضائل والشمائل ، فأحبها وفضلها وخصها ، وكيف لا يحبها ﷺ كل هذا الحب ، وكيف لا يفضلها على سائر النساء وها أنت قد علمت طرفا من شمائلها ولم تسمع الباقي بعد !

وخذ طرفا من:

عذوبة كلماتها وجمال ألفاظها

وحسبك بألفاظها وكلماتها التي سأنقلها ؛ دلالة على تدينها وتقواها :

فقد كانت إذا سئلت كيف أصبحت؟ تقول : **صالحة والحمدلله** .[٢]

ولما سألها ابن عباس وهي في مرض موتها : كيف تجدينك؟ قالت : **بخير إن اتقيت !**[٣]

وإذا سُئلت : كيف أنت؟ قالت : **بخير يغفر الله لك** كما سيأتي .

وكانت تدعو لمن صنع إليها معروفا فتقول : **سقاه الله من سلسبيل الجنة** كما سيأتي أيضا .

---

(١) صحيح البخاري (٣٧٠٠).
(٢) الطبقات (١٠٠١٣).
(٣) البخاري (٦/ ١٣٣).



وكانت تتلطف مع السائلين والمستفتين لاسيما إذا بدا عليهم الحياء والخجل ، فقد دخل عليها مرة أبو موسى فقال : إني أريد أن أسلك عن شيء وأنا أستحي منك ! فقالت : سل ولا تستحي فإنما أنا أمك . فسألها .[١]

أيتام في حجرها

كانت أم المؤمنين تحب ابن أختها عبدالله بن الزبير حبا شديدا ، ولذا فقد تربى في كنفها ، وأحاطته بعلمها وأخلاقها حتى كان يحبها أكثر من أمه ، بل كُنِّيت به فقيل لها (أم عبدالله) كما تقدم .

ولم تكن لتجلس مكتوفة الأيدي أمام قدر الله الذي قضى بحكمته وعدله ألا تُرزق بالولد كما مر معنا ، وإنما كانت تربي أيتاما في حضنها وتحت رعايتها ، تعوض من خلالهم شعور من لم تلد بحاجتها إلى الأطفال الصغار والحنان والرعاية والقبلة والاحتضان .

وفي هذا توجيه لمن حرمت الولد أن تُفَعِّل عبادة من أعظم العبادات عند الله تعالى وهي كفالة اليتيم ورعايته ، التي قال عنها ﷺ :(أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئا) .[٢]

(١) مسند أحمد (٢٤٦٩٩) وصححه الأرنؤوط.

(٢) صحيح البخاري (٥٣٠٤).



والذين تربوا في حجر أمنا عائشة عدد غير قليل من الصحابة والتابعين كلهم تخرج من مدرستها فكانوا جيلا من حفظة الإسلام وعلمائه منهم : أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ، وعروة بن الزبير ، وعمرة بنت عبد الرحمن الأنصارية ، وعائشة بنت طلحة ، ومن التابعين القاسم بن محمد ومسروق وغيرهم .[١]

●●●

(١) عددهم سليمان الندوي في كتابه الدر الثمين ص١٥ وأحال إلى الموطأ (٥٨٩)، وصحيح مسلم (٨١٣)، والمسند (٢٦٣٥٦)، وأسد الغابة، والتهذيب لابن حجر (٢٢/ ١٨٠)، والإصابة له أيضا (٨/ ٢٠).





عائشة علم و فقه و فصاحة



إذا جمع الله للمرأة جمال الشكل والجسم ، وجمال العقل والعلم ؛ فقد كَمُلَتْ محاسنها وارتفع قدرها ، ولعل هذا مما أودع كل هذا الحب لها في أطهر قلب بشر ، قلب النبي الكريم ﷺ .

فلقد حفظت عن رسول الله آلاف الأحاديث ، وبَلَّغَتْ مئات الأحكام . .

فبلغ عدد الأحاديث التي روتها عن النبي ﷺ (٢٢١٠) حديثا[١] ، وكانت القاضية على المسائل الخلافيات التي كانت تحدث بين فينة وأخرى ، وهي مرجع الناس في الفتوى ، وفي معرفة دقائق حياة النبي ﷺ في خاصة نفسه .

وهذه ميزة لا تجدها عند غيرها من الرواة لمكانها منه ﷺ ، فروت أحاديث كثيرة تتعلق بالسنن الفعلية في حياة الرسول ﷺ والشؤون الزوجية والعائلية ، والجوانب الخاصة في حياته والتي لا يطلع عليها إلا زوجة أو مقربة ، **حتى كانت تستدرك على أجلاء الصحابة كأبي هريرة رضي الله عنه فيقول : عائشة إذن أعلم برسول الله ﷺ .**[٢]

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٣٩) والإجابة للزركشي (ص٤٤).
(٢) مسند أحمد (٣٤٧٢٥) وصححه الأرنؤوط.



ومما روته من الجوانب الخفية والشؤون الخاصة بالنبي ﷺ :

كان ﷺ **يعجبه التيمن** في تنعله وترجله وطهوره وفي شأنه كله .[١]

وكيفية غسله من الجنابة ، قالت : **كان ﷺ إذا اغتسل من الجنابة** غسل يديه وتوضأ وضوءه للصلاة ثم اغتسل ثم يخلل بيده شعره حتى إذا ظن أن قد أروى بشرته أفاض عليه الماء ثلاث مرات ثم غسل سائر جسده .[٢]

ومن ذلك قولها : **كان ﷺ يذكر الله على كل أحيانه** .[٣]

وقولها : **كان يصبح جنبا من جماع غير احتلام ، ثم يصوم** .[٤]

وقولها : **كان إذا أراد أن ينام وهو جنب غسل فرجه وتوضأ للصلاة** .[٥]

وكقولها : **كان ﷺ يصلي إحدى عشرة ركعة** ، كانت تلك صلاته – تعني بالليل – فيسجد السجدة من ذلك قدر ما يقرأ أحدكم خمسين آية قبل أن يرفع رأسه ، ويركع ركعتين قبل صلاة الفجر ، **ثم يضطجع على شقه الأيمن حتى يأتيه المؤذن للصلاة** .[٦]

---

(١) صحيح البخاري (١٦٨).
(٢) صحيح البخاري (٢٧٢).
(٣) صحيح البخاري (١/ ١٦٣).
(٤) مسند أحمد (٢٣٩٥٦) وصححه أحمد شاكر.
(٥) صحيح البخاري (٢٨٨).
(٦) صحيح البخاري (٩٩٤).



ولولا اطلاعها على ذلك وإخبارها به لما تمكن الناس من الاقتداء والتأسي برسول الله ﷺ في مثل هذه السنن والمسائل .

ولذا فقد كانت تُسأل أسئلة خاصة جدا فتجيب رضي الله عنها إذ القاعدة المتقررة أنه (لا حياء في العلم)[1] :

- سُئلت : **أكان النبي ﷺ يرقد وهو جنب . قالت : نعم ويتوضأ .**[2]
- وسُئلت : **أكان النبي ﷺ يقبل وهو صائم؟ فأجابت : نعم .**[3]
- وسئلت عن الثوب تصيبه الجنابة فقالت : **كنت أغسله من ثوب رسول الله ﷺ ثم يخرج إلى الصلاة وأثر الغسل فيه بقع ماء .**[4]

بل ولم يكن علمها حفظا وسردا مجردا ، بل هو والله العلم الحقيقي الذي يورث صاحبه الخشية ، فربما تذكرت رضي الله عنها شيئا مما يحدث آخر الزمان فتبكي ، كما في مسند أحمد حينما ذكرت الدجال فوجدها ﷺ تبكي من ذلك .[5]

---

(١) من العبارات الخاطئة الشائعة (لا حياء في الدين) ووجه الخطأ: أن الحياء من الدين كما صح عن النبي ﷺ لفظا ومعنى، وغالب من يرددها يقصد أن الدين لا يمنع من السؤال ، فالصواب إذاً أن يقال (لا حياء في العلم) ، كما قالت أمنا عائشة رضي الله عنها: (نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين. (صحيح البخاري ١/ ٤٤).

(٢) رواه البخاري (٢٦٨).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) رواه البخاري (٢٣١).

(٥) مسند أحمد (٢٤٥١١) وحسن إسناده الأرنؤوط.



نماذج من دعوتها

كما أنها وظفت هذا العلم في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

ففي المسند عن دقرة - أم عبد الرحمن بن أذينة - قالت : كنت أمشي مع عائشة في نسوة بين الصفا والمروة فرأيت امرأة عليها خميصة فيها صُلب ، فقالت لها عائشة : انزعي هذا من ثوبك ، فان رسول الله ﷺ إذا رآه في ثوب قضبه .[١]

ورأت أخاها عبد الرحمن بن أبي بكر يتوضأ ، فقالت : يا عبد الرحمن أحسن الوضوء ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : (ويل للأعقاب من النار) .[٢]

وكانت تربي الناس من حولها وترشدهم :

كما قالت لابن أبي السائب - قاص أهل المدينة - : ثلاثا لتبايعني عليهن أو لأناجزنك . فقال : ما هن؟ بل أنا أبايعك يا أم المؤمنين . قالت : اجتنب السجع من الدعاء ، فإن رسول الله ﷺ وأصحابه كانوا لا يفعلون ذلك ، وقص على الناس في كل جمعة مرة ، فإن أبيت فثنتين ، فإن أبيت فثلاثا ، فلا تمل الناس هذا الكتاب ، ولا ألفينك تأتي القوم وهم في حديث من حديثهم فتقطع

(١) مسند أحمد (٢٥٩٢٣) وحسن إسناده الأرنؤوط.

(٢) مسند أحمد (٢٥٦٣٠) وصححه الأرنؤوط.



عليهم حديثهم ، ولكن اتركهم ، فإذا جرؤك عليه وأمروك به فحدثهم .[١]

ومرة دخل عليها شباب من قريش وهى بمنى وهم يضحكون ! فقالت : ما يضحككم؟ قالوا : فلان خر على طنب فسطاط فكادت عنقه أو عينه أن تذهب . فقالت : لا تضحكوا ، فإني سمعت رسول الله ﷺ قال : «ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها إلا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة».[٢]

ولقد كانت تروي شيئا من الأمور الخاصة بينها وبين النبي ﷺ على حياء منها ، لكن لابد من روايته لنستفيد منه حكما شرعيا ، ففي المسند أيضا : عن عروة بن الزبير عن عائشة : أن رسول الله ﷺ قبل بعض نسائه ثم خرج إلى الصلاة ولم يتوضأ . قال عروة : قلت لها : من هي؟ ألا أنت؟ قال : فضحكت .[٣]

●●●

---

(١) مسند أحمد (٢٥٨٦٢) صححه الأرنؤوط.

(٢) صحيح مسلم (٦٧٢٦).

(٣) رواه أبوداود (١٧٩) ، والترمذي (٨٦) ، وهو في مسند أحمد (٢٥٨٠٧) وصحح إسناده الأرنؤوط.



ولقد تواتر الثناء على فضلها وعلمها عن أجلاء الأئمة والعلماء :

فكان عطاء بن أبي رباح يقول : (كانت عائشة أفقه الناس وأعلم الناس وأحسن الناس رأيا في العامة) .[1]

قال عروة :(لقد صحبت عائشة فما رأيت أحدا قط أعلم بآية أنزلت ، ولا بفريضة ، ولا بسنة ، ولا بشعر ، ولا أروى له ، ولا بيوم من أيام العرب ، ولا بنسب ، ولا بكذا ولا بكذا ، ولا بقضاء ولا بطب منها . .) .[2]

ويقول أبوموسى :(ما أشكل علينا أصحاب رسول الله ﷺ حديث قط فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علما) .[3]

وكان مسروق يقسم فيقول : (والذي نفسي بيده لقد رأيت مشيخة أصحاب محمد ﷺ الأكابر يسألونها عن الفرائض) .[4]

ودخل عليها معاوية يوما فكلمها فلما خرج قال : (والله ما سمعت قط أبلغ من عائشة ليس رسول الله ﷺ) .[5]

وقال الأحنف :(سمعت خطبة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي والخلفاء بعدهم ، فما سمعت الكلام من فم مخلوق أفخم ولا أحسن منه من فيّ عائشة) .[6]

---

(١) مستدرك الحاكم (٦٧٤٨) وسكت عنه الذهبي في التلخيص وفي السير.
(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٨٣).
(٣) رواه الترمذي (٣٨٨٣) وقال : حديث حسن صحيح.
(٤) مستدرك الحاكم (٦٧٣٦) ، وسنن الدارمي (٢٨٥٩) وصحح اسناده المحقق.
(٥) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٤٧).
(٦) مستدرك الحاكم (٦٧٣٢).



وهذا موسى بن طلحة يقول : (ما رأيت أحدا أفصح من عائشة) .[١]

وعن علاقتها بالشعر يقول عروة : (ربما روت عائشة القصيدة ستين بيتا والمائة بيت) .[٢]

ولأجل كل هذا الثناء من الأسلاف على علمها وعقلها قال الزهري وصدق : (لو اجتمع علم عائشة إلى علم جميع أمهات المؤمنين وعلم جميع النساء ؛ لكان علم عائشة أفضل) .[٣]

وهل في هذا عَجَبٌ إذا ما علمنا صغر سنها ونزول الوحي في بيتها ، وسنوات عديدة من العشرة الشريفة قضتها مع رسول الله ، فهي أخص طلابه وتلامذته ، فما حسبك أن تكون الخريجة من هذه الجامعة النبوية المباركة ؟[٤]

---

(١) مستدرك الحاكم (٦٧٣٢).

(٢) الطبقات (٩٩٩٧) ، سير أعلام النبلاء (٢/ ١٨٩).

(٣) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٨٥).

(٤) ثم تأملت في وصف تعليم النبي لها وتعلمها منه بـ (الجامعة) فبدى لي أنه وصف خاطئ في هذا المقام، ذلك أنه لم تكن هناك ساعات محددة أو حصص خاصة لتحصيل العلم من النبي ، لأن معلم الشريعة ﷺ كان موجودا بنفسه في البيت ، فكانت تنال شرف صحبته ليل نهار، وتنهل من معين علمه كلما أرادت ومتى شاءت ، وعلى فرض أنه كان ينشغل لساعات مع أصحابه وبالمسجد وبدروس الرجال ، فنقول : كانت حلقات العلم والدعوة والإرشاد ومجالس القضاء تقام في المسجد النبوي يوميا ، وحجرتها رضي الله عنها كانت ملاصقة للمسجد ، ولذا فإنه كانت تتوافر لها فرص الاستفادة من تلك الدروس التي يلقيها الرسول الكريم ﷺ، كما أنه كان قد خصص لها ولغيرها من النساء يوما في الأسبوع لتعليمهن ووعظهن ، فأرى في وصف العلاقة التعليمية بينهما بـ (الجامعة) تقليل لحجم التعليم الحقيقي الذي تعلمته لو تؤمل بعبارة (جامعة) جيدا ، والمسألة هينة والله أعلم.



لذا كان الشعبي يذكر عائشة فيعجب من فقهها وعلمها ، ثم يقول : **(ما ظنكم بأدب النبوة؟)** .[١]

وها هو الإمام الذهبي يقول عنها بعد أكثر من سبعة قرون على وفاتها : **(لا أعلم في أمة محمد ﷺ ، بل ولا في النساء مطلقا امرأة أعلم منها)** .[٢]

وقد صنف الإمام الزركشي مجلدا في استدراكاتها رضي الله عنها على الصحابة سماه **(الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة)** وهو مطبوع ، استدركت فيه على أجلاء الصحابة كعمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب ، وابن عباس ، وابن عمر ، وعبدالله بن عمرو بن العاص ، وأبي هريرة ، وأبي سعيد الخدري ، وابن مسعود ، وأبي موسى الأشعري ، وزيد بن ثابت ، وزيد بن أرقم ، والبراء بن عازب ، وعبدالله بن الزبير ، وأبي الدرداء ، وعبدالرحمن بن عوف رضي الله عنهم ، كما استدركت على أمهات المؤمنين أيضا . وهذا كله دال على علو كعبها في العلم والفهم .

وكانت مع جليل قدرها وسمو مكانتها وشريف علمها ، لا تعنف مخطئا متأولا ، ولا تصحح الخطأ بتعالي وكبر ، وإنما كانت متواضعة متلطفة ، فتارة تقول عن المخطئ : **يرحم الله فلانا** .

وتارة تلتمس له عذر النسيان وعدم الحفظ ، كما قالت في ابن عمر : **يرحم**

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٩٧).
(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٤٠).



الله أبا عبد الرحمن كنت أطيب رسول الله ﷺ ثم يطوف على نسائه ثم يصبح محرما ينتضح طيبا .[١]

وحدثها أبو عطية يوما فقال :إن فينا رجلين من أصحاب النبي ﷺ أحدهما : يعجل الإفطار ويؤخر السحور ، والآخر يؤخر الإفطار ويعجل السحور .فقالت عائشة : أيهما الذي يعجل الإفطار ويؤخر السحور؟ قال فقلت : هو عبد الله ، فقالت كذا كان يصنع رسول الله ﷺ .[٢] **ولم تتكلم في المخطئ** .

ولما أمرت أَن يُمَرَّ بجنازة سعد بن أبى وقاص في المسجد فتصلى عليه ، فأنكر الناس ذلك عليها ! قالت رضي الله عنها : **ما أسرع ما نسي الناس!** ما صلى رسول الله ﷺ على سهيل ابن البيضاء إلا في المسجد .[٣]

●●●

(١) رواه أحمد (٢٥٤٦٠) وصحح إسناده الأرنؤوط.
(٢) مسند أحمد (٢٥٤٣٨).
(٣) صحيح مسلم(٢٢٩٦).




عائشة
رضي الله عنها
علاقتها بآل البيت
علي - فاطمة - الحسن - الحسين



عائشة وآل البيت (علي وفاطمة والحسن والحسين)

لقد فهمت عائشة رضي الله عنها مكانة هؤلاء الأربعة عند النبي ﷺ ومحبته لهم ، كما فهموا مكانتها ومحبة النبي ﷺ لها ، **فما كان منهم إلا تبادل الحب والود والاحترام والثناء .**

وكيف لا تفعل ذلك وهي التي رأت وروت : أن رسول الله اشتمل على الحسن والحسين وأمهما وأبيهما ، ثم قال : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ .[1]

- **فعلي** ابن عمه وأول من أسلم من الصبيان وزوج ابنته رضي الله عنه .
- **وفاطمة** بنته ﷺ وسيدة نساء أهل الجنة .
- **والحسن والحسين** سبطاه وابناه وريحانة حياته وسيدا شباب أهل الجنة .
- **وعائشة** هي حبه وبكره وأم المؤمنين وأحب نسائه إليه .

فكانت رضي الله عنها **كثيرا ما تروي فضائلهم التي سمعتها من رسول الله** ﷺ كما تجده في البخاري ومسلم وغيرهما من كتب الحديث والرواية .

فتعال معي نلقي نظرة على شيء موجز من ذلك :

(١) صحيح مسلم (٦٤١٤).



أم المؤمنين وابنها علي .. صفاء ودعاء

كان علي رضي الله عنه يقول لها : **كيف أنت يا أمه؟** فتقول : **بخير يغفر الله لك** .

فيقول : **ولكِ** .[١]

وكان يقول للناس :**(إنها لزوجة نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة)** .[٢]

وكانت تقول عنه :**(أما إنه لأعلم الناس بالسنة)** .[٣]

وفي صحيح مسلم أن شريحا لما سألها عن المسح على الخفين قالت : **(ائت عليا ، فإنه أعلم بذلك مني)** .[٤]

وتترحم عليه فتقول :**(يرحم الله عليا)** كما في المسند .[٥]

بل ربما **جلد علي** من أساء لها أو تكلم عنها مائة جلدة . كما ذكر صاحب إتمام الوفاء .

أم المؤمنين وابنتها فاطمة .. محبة وثناء

كانت رضي الله عنها تمدح فاطمة فتقول :**(ما رأيت أشبه سمتا ولا دلا[٦] وهديا برسول الله ﷺ في قيامها وقعودها من فاطمة بنت رسول الله ﷺ)** .[٧]

---

(١) إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء للخضري (ص١٥٣).
(٢) تاريخ الطبري (٤/ ٥٤٤).
(٣) الاستيعاب ترجمة (١٨٧١).
(٤) صحيح مسلم (٢٧٦).
(٥) مسند أحمد (١/ ٨٧).
(٦) الدل : حسن الهيئة أو حسن الحديث.
(٧) رواه أبوداود (٥٢١٧) وصححه الألباني.





وكيف لا تحبها وتثني عليها وقد رأت بعينيها إكرام رسول الله ومحبته لها :

تقول رضي الله عنها : إنا كنا أزواج النبي ﷺ اجتمعنا عنده ، لم يغادر منهن واحدة . **فجاءت فاطمة تمشي ما تخطى مشيتها مشية رسول الله ﷺ . فلما رآها ، رحب بها ،** قال : « مرحبا بابنتي » .ثم أقعدها عن يمينه أو عن يساره .[1]

وكانت تقول لفاطمة : **ألا أبشرك أني سمعت رسول الله ﷺ يقول : (سيدات نساء أهل الجنة أربع : مريم بنت عمران وفاطمة بنت رسول الله وخديجة بنت خويلد وآسية امرأة فرعون)** .[2]

أم المؤمنين .. وابناها الحسن والحسين :

وكانت تحدث الناس عن علاقة النبي ﷺ بالحسن ومحبته له فتقول : **كان النبي ﷺ يأخذ الحسن فيضمه إليه ويقول : (اللهم إن هذا ابني فأحبه وأحب من يحبه)** .[3]

فكان الحسن إذا صلى الغداة في المسجد النبوي يجلس في مصلاه يذكر الله حتى ترتفع الشمس ، ويجلس إليه من يجلس من سادات الناس يتحدثون عنده ، **ثم يقوم فيدخل على أمهات المؤمنين فيسلم عليهن وربما أتحفنه ثم ينصرف إلى منزله** .[4]

(١) متفق عليه : البخاري (٦٢٨٥) ، مسلم (٦٤٦٨).
(٢) رواه الحاكم وقال : صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.
(٣) تاريخ دمشق (١٤/ ٣٤) ، المعجم الكبير (٣/ ٣٢) ، البداية والنهاية (٨/ ٣٩).
(٤) البداية والنهاية (٨/ ٤١).



ولما حضرته الوفاة ، بعث إلى عائشة يطلب منها أن يدفن مع النبي ﷺ فأجابته إلى ذلك ، فقال للحسين : إذا أنا مت فاطلب إلى عائشة أن أدفن مع النبي ﷺ ، فلعلها تستحي مني ، فإن أذنت فادفني في بيتها ، فلما توفي جاء الحسين وطلب منها ذلك فقالت : **نعم وكرامة** .[١]

وهذه المحبة والاحترام والثناء من أمنا رضي الله عنها لا يستغرب وهي ابنة أبي بكر الصديق الذي كان : إذا رأى الحسن يلعب مع الغلمان ، احتمله على عنقه وجعل يقول : (بأبي شبيه بالنبي لا شبيه بعلي ، فيضحك علي رضي الله عنهم[٢].

ولأن أمنا أسوة وقدوة ؛ انتقلت هذه المحبة والاحترام لآل البيت إلى تلاميذها وطلابها :

فهذا تلميذها وابن أختها ابن الزبير يقول : كان الحسن بن علي يشبه النبي ﷺ.[٣]

ويقول : والله ما قامت النساء عن مثل الحسن بن علي .[٤]

(١) (أسد الغابة ٢/ ١٩) ولم تتم وصية الحسن لرفض بعض أعضاء الدولة الأموية ذلك ، إذ لم يدفن في بيتها بعد عمر أحد ، لا عثمان ولا علي ولا غيرهما ، فدفن رضي الله عنه بالبقيع بجوار أمه فاطمة رضي الله عنها. (نقلا عن الغصن الندي في سير الحسن بن علي ص٩٤) قلت : ولعل سبب الرفض – إن صح هذا الخبر – : لئلا يُفتح هذا الباب بما لا يمكن وصده ، حيث ستتعطش نفوس كثير من الأخيار لدفنها مع النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر في بيت عائشة رضي الله عنهم ، والله تعالى أعلم.

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٤٢).

(٣) البداية والنهاية (٨/ ٣٨).

(٤) البداية والنهاية (٨/ ٤١).



هذا ، ولقد فهم الناس - صحابة وآل بيت - قدرها ومكانتها فأكرموها غاية الإكرام ، وعظموا شأنها أكمل الإعظام ، تطبيقا لوصية رسول الله : (**أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي**) .[1]

فهذا عبدالرحمن بن عوف عندما باع أرضا له بأربعين ألف دينار ، قسمه في فقراء بني زهرة وفي ذي الحاجة من الناس وفي أمهات المؤمنين ، فلما أرسل نصيب عائشة لها قالت :(**إن رسول الله ﷺ قال : لا يحن عليكم بعدي إلا الصابرون . وفي رواية : الصادقون . سقى الله ابن عوف من سلسبيل الجنة**) .[2]

وما سبق إنما هو قطوف متواضعة وشذرات قليلة ، والأحاديث والأخبار في ذلك أكثر وأكثر .

●●●

(١) صحيح مسلم (٢٤٠٨).
(٢) مسند أحمد (٢٥٠٧٦) وحسنه الأرنؤوط ، والرواية الأخرى في المسند برقم (٢٤٩٣٧).




عائشة
رضي الله عنها
عندما ودعت الدنيا - وماذا قالوا عنها؟



عندما ودّعت الدنيا



توفيت رضي الله عنها بعد عمر مديد قضته في تعليم الناس وتفقيههم وتثقيفهم، وذلك في ليلة الثلاثاء ١٧ من رمضان بعد صلاة الوتر زمن خلافة معاوية رضي الله عنه سنة ٥٧ من الهجرة، وقيل : ٥٨ هـ ، ودفنت من ليلتها بالبقيع ، واجتمع الأنصار وحضروا فلم تُر ليلة أكثر ناسا فيها ، حتى نزل أهل العوالي، وصلى عليها أبو هريرة رضي الله عنه وكان يومئذ والي المدينة بالنيابة .

وقد كانت تحدث نفسها أن تدفن في بيتها مع زوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبيها أبي بكر ، ثم رجعت عن ذلك وأوصت أن تدفن مع بقية أزواجه في البقيع، قالت لابن الزبير : لا تدفني معهم وادفني مع صواحبي بالبقيع لا أزكى به أبدا.[١] وفي رواية : ادفني مع صواحبي ، ولا تدفني مع النبي صلى الله عليه وسلم في البيت فإني أكره أن أزكى .[٢]

وكانت مدة حياتها المباركة خمسا وستين سنة .[٣]

(١) صحيح البخاري (١٣٩١).
(٢) صحيح البخاري (٧٣٢٧). وقولها : لا أزكى به أبدا : أي أن يثني علي أحد بما ليس في بل بمجرد كوني مدفونة عنده دون سائر نسائه فيظن إني خصصت بذلك من دونهن لمعنى في ليس فيهن وهذا منها في غاية التواضع. قاله ابن حجر في فتح الباري (١٣ / ٣٠٧).
(٣) الإجابة للزركشي (ص٤٤).



وعلى الرغم مما أكرمها الله به من زواجها بالنبي ﷺ وتفضيلها على النساء ومحبته ﷺ لها (والمرء مع من أحب) وما خصها الله وميزها به ، إلا أنها لما حضرتها الوفاة ؛ كانت تقول – تواضعا منها رضي الله عنها : **يا ليتني لم أخلق ، يا ليتني كنت شجرة أسبح وأقضي ما علي .**[1]

ومن وصاياها رضي الله عنها أنها قالت : **إذا كفنت وحنطت ، ثم دلاني ذكوان في حفرتي وسواها علي ؛ فهو حر .**[2]

فأوصت بعتق مولاها (ذكوان) وهو من أعظم وأحب العبادات إلى الله أعني عتق الرقاب .

ونزلها في القبر كل من : القاسم بن محمد بن أبي بكر ، وعبدالله بن عبدالرحمن بن أبي بكر ، وعبدالله بن عتيق ، وعروة بن الزبير ، وعبدالله بن الزبير .

وبهذا انطفأت شمعت المدينة وأَفَلَ نجم أم المؤمنين من سماء الدنيا ، ورحلت إلى دار خير من دارها وأهل خير من أهلها ولحقت بالرفيق الأعلى وبالحبيب المصطفى ، فيا لهنائها بما تحولت منه وصارت إليه . .

وبقي فينا علمها وسيرتها وفضلها على أمة الإسلام فجزاها الله عنا أحسن الجزاء ورضي عنها .

●●●

(١) الإجابة للزركشي (ص٤٤).
(٢) الطبقات : (١٠٠٢٠).





عائشة في عيون محبيها

لقد قدر الناس - صحابة وآل بيت - قدر عائشة ، وحفظوا لها حبهم وودهم حتى بعد موتها ، فكانوا يثنون عليها ، ويذكرون شمائلها ، ويترضون عنها ، ويسمون بناتهم باسمها رضي الله عنها وأرضاها .

فهذا **علي بن أبي طالب** رضي الله عنه ، كان إذا ذكرت عنده يقول : **خليلة رسول الله** ﷺ .(١)

وكان **عمر** يقول : **إنها حبيبة رسول الله** ﷺ.(٢)

وكان الرواة إذا رووا عنها حديثا قالوا : **حدثتنا الصديقة بنت الصديق ، حبيبة حبيب الله ، المبرأة من فوق سبع سموات ، كما كان يقول مسروق** .(٣)

وكان **ابن الزبير** إذا حدث عنها قال : **والله لا تكذب عائشة على رسول الله أبدا** .(٤)

وكان **مقسم** إذا سئل عن حديث عمن يرويه قال : **عن الثقة : عن عائشة** .(٥)

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٧٧) وحسنه الذهبي ، وكذا الزركشي في الإجابة (ص٤٦).
(٢) مستدرك الحاكم (٦٧٢٣).
(٣) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٨١).
(٤) الطبقات (٦٦٦٩).
(٥) مسند أحمد (٢٥٦٥٧).



وكان مسروق يقول : لولا بعض الأمر لأقمت المناحة على أم المؤمنين .[1]

وكان عمار بن ياسر يقول : إنها لزوجة نبينا ﷺ في الدنيا والآخرة .[2]

وقال للذي نال منها رضي الله عنها عنده : اغرب مقبوحا ، أتؤذي حبيبة رسول الله ﷺ.[3]

وسأل عبيد بن عمير رجلا : كيف كان وجد الناس على عائشة؟ فقال : كان فيهم وكان . فقال : أما إنه لا يحزن عليها إلا من كانت أمه .[4]

ولما سمعت أم سلمة رضي الله عنها بوفاة عائشة رضي الله عنها قالت : والله لقد كانت أحب الناس إلى رسول الله ﷺ إلا أباها .[5]

●●●

(١) الطبقات (١٠٠٣٢).
(٢) صحيح البخاري (٣٧٧٢).
(٣) رواه الترمذي (٣٨٨٨) وحسنه.
(٤) طبقات ابن سعد (٨/ ٧٨).
(٥) مستدرك الحاكم (٦٧٤٦) وصححه.



التسمي بعائشة رضي الله عنها

ولفضلها ومكانتها رضي الله عنها ، سمى كثير من أئمة آل البيت بناتهم باسمها ، ونعدد بعضهن :[1]

١ ـ **عائشة** بنت **جعفر الصادق** .

٢ ـ **عائشة** بنت **موسى الكاظم** بن جعفر الصادق .

٣ ـ **عائشة** بنت **جعفر بن موسى الكاظم** بن جعفر الصادق .

٤ ـ **عائشة** بنت **علي الرضا بن موسى الكاظم** .

٥ ـ **عائشة** بنت **علي الهادي بن محمد الجواد** بن علي الرضا .

٦ ـ **عائشة** بنت **محمد بن الحسن بن جعفر** بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي ابن أبي طالب .

●●●

(١) انظر كتاب : الأسماء والمصاهرات بين أهل البيت والصحابة.




عائشة
رضي الله عنها
روائع ما قاله العلماء عنها: أبو نعيم - الزمخشري - ابن الجوزي - الذهبي - الأفغاني



((الصديقة بنت الصديق ، العتيقة بنت العتيق ، حبيبة الحبيب وأليفة القريب سيد المرسلين محمد الخطيب ، المبرأة من العيوب ، المعراة من ارتياب القلوب لرؤيتها جبريل رسول علام الغيوب عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها . .كانت للدنيا قالية ، وعن سرورها لاهية ، وعلى فقد أليفها باكية))

(الإمام أبونعيم الأصفهاني)[1]

●●●

((لو فليت القرآن كله ، وفتشت عما أوعد به العصاة ، لم تر الله تعالى قد غلظ في شيء تغليظه في إفك عائشة رضوان الله عليها ، ولا أنزل من الآيات القوارع المشحونة بالوعيد الشديد ، والعتاب البليغ ، والزجر العنيف ، واستعظام ما ركب من ذلك ، واستفظاع ما أقدم عليه : ما أنزل فيه ، على طرق مختلفة وأساليب مفتنة ، كل واحد منها كاف في بابه ، ولو لم ينزل إلا هذه الثلاث لكفى بها ، حيث جعل القذفة ملعونين في الدارين جميعا ، وتوعدهم بالعذاب العظيم في الآخرة ، وبأن ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم تشهد عليهم بما أفكوا وبهتوا ، وأنه يوافيهم جزاءهم الحق الواجب الذي هم

(١) حلية الأولياء (٢/ ٤٣-٤٤).



أهله ، حتى يعلموا عند ذلك أن الله هو الحق المبين ، فأوجز في ذلك وأشبع ، وفصل وأجمل ، وأكذ وكرر ، وجاء بما لم يقع في وعيد المشركين - عبدة الأوثان - إلا ما هو دونه في الفظاعة . . .

ولقد برأ الله تعالى أربعة بأربعة : برأ يوسف بلسان الشاهد (وشهد شاهد من أهلها) ، وبرأ موسى من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه ، وبرأ مريم بإنقاذ ولدها حين نادى من حجرها (إني عبدالله) وبرأ عائشة بهذه الآيات العظام في كتابه المعجز ، المتلو على وجه الدهر مثل هذه التبرئة بهذه المبالغات ، فانظر كم بينها وبين تبرئة أولئك؟ وما ذاك إلا لإظهار علو منزلة رسول الله ﷺ ، والتنبيه على إنافة محل سيد ولد آدم ، وخيرة الأولين والآخرين ، وحجة الله على العالمين .

ومن أراد أن يتحقق عظمة شأنه ﷺ ، وتقدم قدمه ، وإحرازه لقصب السبق دون كل سابق ، فليتلق ذلك من آيات الإفك ، وليتأمل كيف غضب الله له في حرمته ، وكيف بالغ في نفي التهمة عن حجابه))

(الإمام الزمخشري)[1]

●●●

(١) تفسير الكشاف (٣/ ٢٢٨) ونقله عنه الحافظ في الفتح (٨/ ٤٧٧-٤٨٧) باختصار.



((قال : ذاك جبريل وهو يقرئك السلام . قالت : وعليه السلام . انظروا إخواني كيف لم يواجهها بالسلام لأجل زوجها ، فمن هذه حالتها مع جبريل ؛ كيف يجوز عليها الزور والأباطيل؟ !

أما أهل السنة فقلوبهم بالفرح عند ذكر عائشة طائشة ، وأما الرافضة فتأخذهم حُمَّى نافضة . . .

هي اختيار العظيم العلي للنبي ، ومذ طفولتها تعرف بالعز الأبي ، ولها عقل الكبار في سن الصبي ، وهل يضرها قول الجهول الغبي ، أو يقدح في ريح المسك الذكي إلا بهيم ﴿ والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم﴾ .

ما تزوج الرسول ﷺ بكرا سواها ، ولا أحب زوجة كحبه إياها ، جاء بها الملك في سرقة فجلاها ، وتكلم الله ببراءتها سبحان من أعطاها ، وما يرمي الأصحاء بالسقم إلا سقيم ﴿والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم ﴾ .

واعجبا لمبغضيها من هم ، إن فهمت قولي قلت إن هم ، ضرهم والله ما صدر عنهم ، خفت والله عقولهم والآفة تهيم ﴿ والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم ﴾ .

ما خفي على حسادها طهارة ذيلها ، غير أن الطباع الردية في ميلها ، هجمت عليها الأحزان برجلها وخيلها ، فكانت طول نهارها وليلها تبكي بكاء اليتيم ﴿والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم ﴾ .

مدوا أبواعهم إلى عرضها فما نالوا ، وأكثروا القول ظاهرا وباطنا واحتالوا ،



ونوعوا أسباب القذف وتكلموا وأطالوا ، وهي على طهارتها مما قالوا في مقعد مقيم ﴿ والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم ﴾ .

تكلموا فيها بترهات ، وراموا ذم السماء وهيهات ، يا عائبها إن عرفت عيبا فهات ، كفانا الله شر عقوق الأمهات فإنه قبيح ذميم ﴿ والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم ﴾ .

ما كان سوى غيم ثم تجلى ، وانصرف الحزن وتولى بالفرح الذي تولى ، ولبس الممدوح أحسن الحلى وتحلى ، وحمل القاذف إثما وكلا ، أيقدح العقلاء في أمهاتهم القاذفون كلا هي منهم عقيم ﴿ والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم ﴾ .

حوشيت من ريب أو فجور ، إنما زيدت بما جرى في الأجور ، تنزهت أم العدول أن تجور ، إنما وقعت في أغباش ليل ظلام ديجور ، ثم بان النور في سورة النور فنزل في الكلام القديم[١] ﴿والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم﴾)) .

(الإمام ابن الجوزي)[٢]

●●●

---

(١) وصف القرآن بالقديم ليس من عقيدة أهل السنة والجماعة، انظر تفصيل ذلك في مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٢/ ٥٤)، (١٢/ ٥٦٦ - ٥٦٧).
(٢) التبصرة (١/ ٤٢٢).



((عائشة أم المؤمنين بنت الإمام الصديق الأكبر ، خليفة رسول الله ﷺ . . القرشية التيمية ، المكية ، النبوية ، أم المؤمنين ، زوجة النبي ﷺ ، أفقه نساء الأمة على الإطلاق . . . .فروت عنه علما كثيرا طيبا مباركا فيه . . . ولم يتزوج النبي ﷺ بكرا غيرها ، ولا أحب امرأة حبها . ولا أعلم في أمه محمد ﷺ ، بل ولا في النساء مطلقا امرأة أعلم منها . وذهب بعض العلماء إلى أنها زوجة نبينا ﷺ في الدنيا والآخرة[١] ، فهل فوق ذلك مفخر ، – وإن كان للصديقة خديجة شأوا لا يلحق ، وأنا واقف في أيتهما أفضل ، نعم جزمت بأفضلية خديجة عليها لأمور ليس هذا موضعها . . .ما تزوج بكرا سواها ، وأحبها حبا شديدا كان يتظاهر به . . . وما كان عليه السلام ليحب إلا طيبا . . .فأحب أفضل رجل من أمته وأفضل امرأة من أمته ، فمن أبغض حبيبي رسول الله ﷺ ، فهو حري أن يكون بغيضا إلى الله ورسوله . . .)) .

وقال أيضا :((فضل عائشة على سائر أمهات المؤمنين بأمر إلهي))

(الإمام الذهبي)[٢]

●●●

(١) هذ بالنص النبوي الذي تقدم ذكره وتخريجه (أنت زوجتي في الدنيا والآخرة) ولا أعرف أحداً من العلماء يقول غير ذلك.

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٣٥– ١٤٣).



((سلخت سنين في دراسة السيدة عائشة ، كنت فيها حيال معجزة لا يجد القلم إلى وصفها سبيلا ، وأخص ما يبهرك فيها : علم زاخر كالبحر بعد غور ، وتلاطم أمواج ، وسعة أفاق ، واختلاف ألوان ، فما شئت إذ ذاك من تمكن في فقه أو حديث أو تفسير أو علم بشريعة أو آداب أو شعر أو أخبار أو أنساب أو مفاخر أو طب أو تاريخ . . . إلا أنت واجد منه ما يروعك عند هذه السيدة ، ولن تقضي عجبا من اضطلاعها بكل أولئك وهي لا تتجاوز الثامنة عشرة . . . ومن هنا توقن أن حياة السيدة عائشة بنت مجدا باذخا لتاريخ المرأة العلمي في الإسلام ، بل إن عبقريتها وحدها كفيلة بملء تاريخ كامل ، فلست أعلم في عبقريات الرجال والنساء في تواريخ الأمم ما يداني مكانة السيدة التي تناسيناها . . . ولتعلم بعد هذا سيداتنا أن امرأة منهن في صدر الإسلام تتلمذ عليها مشيخة المهاجرين والأنصار من كل حبر وعالم ، وفقيه وقارئ ، وراوية وعنها وحدها نقل ربع الشريعة كما قال الحاكم)) .

(الأستاذ سعيد الأفغاني)[1]

●●●



(١) من مقدمة تحقيقه لكتاب الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة للزركشي ص١٢ وما بعدها.





الخاتمة

لقد ضرب لنا رسول الله وأمنا عائشة أبلغ المثل فيما ينبغي عليه أن تكون بيوتات المسلمين من ود ومحبة وصفح ولين . .

رأينا محمدا الزوج وعائشة الزوجة . . وكيف كانت حياتهما وهناؤهما ؟

لم تر منه إلا الابتسامة والمحبة والتسامر والمرح والدعابة . . مما لا يخدش حياء ولا يزعج جيرانا ولا يميت قلبا ، وليس فيها سخرية ولا غيبة ولا عيباً على أحد .

لم تمتد يده عليها قط ، ولم يعنفها حتى فيما أخطأت رضي الله عنها به ، بل كان يلاطفها ويرشدها ويعلمها بالتي هي أحسن . . بابتسامة حانية تبعث الدفء ، ولطف أخّاذ يبعث الأمان .

أمتعها وأمتعته بحسن أدب ، وكريم معاملة . . . ونقلت لنا حياتها معه بالتفصيل لننهل من معين هذه العلاقة الزوجية المثلى ، حتى أنها روت عن نفسها المواقف والأحداث التي أخطأت فيها أو بدر منها ما يغضبه صلى الله عليه وسلم لنتعلم ونفيد منها ، وما ذاك إلا علامة على صدقها وحسن تربيتها وإخلاصها في نفسها . . .

وإنني في ختام هذا الكتيب أشكر الله العظيم على ما من به ، وأسأله أن ينفع به كل من قرأه ، وأن يعيننا على تطبيق ما كان رسولنا يصنعه ، فَنَسْعَد ونُسْعِد . . وهل الحياة الزوجية الناجحة إلا تبادل معاني الحب والسعادة والاحترام ؟ ! فنسأل الله أن يوفقنا لذلك . . اللهم آمين .

وآخر دعوانا أن الحمدلله رب العالمين .







إهداء الكتاب إلى أم المـؤمـنـين..٦
شكر وعرفان..٧
تقديم الشيخ عثمان الخميس..٨
مقدمة المؤلف..١١
مدخل..١٥
وأشرقت أم القرى بولادة أمنا..١٩
عائشة في بيت أبيها..٢١
عائشة والـزواج المبارك..٢٣
مهارة زوجية (١) :..٢٧
مهارة زوجية (٢) :..٢٩
مهارة زوجية (٣) :..٢٩
ما أجملك يا أماه !..٣١
مهارة زوجية (٤) :..٣١
مهارة زوجية (٥) :..٣٢
مظاهر عظم محبة النبي ﷺ لها..٣٥
قدرها ومكانتها..٣٩
والله إنك لمباركة..٤١



تفضيله لها على النساء ٤٣
مهارة زوجية (٦) : ٤٣
مهارة زوجية (٧) : ٤٤
مهارة زوجية (٨) : ٤٥
الأنموذج المثالي للعلاقة الزوجية الناجحة ٤٧
مهارة زوجية (٩) : ٤٨
مهارة زوجية (١٠) : ٤٩
مهارة زوجية (١١) : ٥٠
مهارة زوجية (١٢) : ٥١
مهارة زوجية (١٣) : ٥٢
مهارة زوجية (١٤) : ٥٣
مهارة زوجية (١٥) : ٥٤
مهارة زوجية (١٦) : ٥٦
مهارة زوجية (١٧) : ٥٨
مهارة زوجية (١٨) : ٥٩
مهارة زوجية (١٩) : ٦١
جلساته ﷺ معها ٦٣
زيارة لبيت عائشة ونظرة لأثاثها ! ٦٥
غِرْنَ وحُقَّ لهن أن يغرن منها ٦٩
غيرتهن رضي الله عنهن ٧٠



غار أمكم وإن الغيرى لا تبصر أسفل الوادي من أعلاه ٧٢

مهارة زوجية (٢٠) : ٧٤

مهارة زوجية (٢١) : ٧٦

مهارة زوجية (٢٢) : ٧٦

مهارة زوجية (٢٣) : ٧٧

تنبيه (ثناء أمهات المؤمنين على بعضهن البعض) ٨١

لماذا ضحك النبي ﷺ ؟ ٨٥

مهارة زوجية (٢٤) : ٨٦

ماذا كان يفعل إذا حزنت ؟ ٨٩

مهارة زوجية (٢٥) : ٨٩

مهارة زوجية (٢٦) : ٩١

ماذا كان يفعل إذا مرضت ؟ ٩٣

مهارة زوجية (٢٧) : ٩٣

وغضبت عائشة .. فماذا كانت تفعل وماذا كان يفعل؟ ٩٧

زهدٌ مع النفس كرمٌ مع الأهل ١٠١

مهارة زوجية (٢٨) : ١٠٣

تربيته وتعليمه ﷺ لأهل بيته ١٠٧

سؤالاتها للنبي ﷺ ١٠٩

مهارة زوجية (٢٩) : ١١١

أعظم حدث مر في حياتها ١١٣



حادثة الإفك ١١٣
مواقف رائعة لبعض الصحابة في هذه الحادثة (حاشية) ١١٩
آيات البراءة مع التفسير الميسر ١٢١
الدروس المستفادة ١٢٣
مهارة زوجية (٣٠) : ١٢٥
عائشة ولحوقه ﷺ بالرفيق الأعلى ١٢٧
وبدأ رحلة الاحتضار ١٢٨
كيف قضت بقية حياتها بعد رسول الله؟ ١٣٣
عبادتها وتقواها ١٣٣
صلاتها وتلاوتها ١٣٤
إنفاقها وسخاؤها ١٣٥
صومها وصبرها ١٤٠
حجها وجهادها ١٤٠
ورعها ١٤١
حياؤها ١٤١
إيثارها ١٤١
عذوبة كلماتها وجمال ألفاظها ١٤٢
أيتام في حجرها ١٤٣
عائشة علم وفقه وفصاحة ١٤٥
نماذج من دعوتها ١٤٨



ثناء الصحابة والتابعين على علمها ١٥٠
علاقتها بآل البيت ١٥٥
أم المؤمنين وابنها علي صفاء ودعاء ١٥٦
أم المؤمنين وابنتها فاطمة محبة وثناء ١٥٦
أم المؤمنين وابناها الحسن والحسين ١٥٧
عندما ودعت الدنيا ١٦١
عائشة في عيون محبيها : ماذا قالوا عنها؟ ١٦٣
أئمة آل البيت وتسمية بناتهم باسمها ١٦٥
قالوا عن السيدة عائشة ١٦٧
الإمام أبو نعيم الأصبهاني ١٦٧
الزمخشري ١٦٧
الإمام ابن الجوزي ١٦٩
الإمام الذهبي ١٧١
الأستاذ المحقق : سعيد الأفغاني ١٧٢
خاتمة الكتاب ١٧٣




تم بحمد الله

